مقدمات في منهج
أهل السنة والجماعة

حقوق الطبع محفوظة

مقدمات في منهج أهل السنة والجماعة

جمع وترتيب

أبو أحمد سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي

غفر الله له ولوالديه ولزوجه وولده وللمسلمين والمسلمات

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أمَّا بعد:

فيا طالب العلم بين يديك وقفات مهمة حول منهج أهل السنة والجماعة بمثابة المقدمات الهامة جمعتها لك من كتاب الله ﷻ وسنة رسوله الأمين ﷺ ومن آثار الصحابة رضي الله عنهم وتابعيهم بإحسان ومن كتب أهل العلم من السلف والخلف.

أسال الله ﷻ أنْ ينفعني وإيَّاك بها وأن يجعلها سبباً لمغفرة الزلات ورفع الدرجات إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير.

كتبه

أبو أحمد سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي

غفر الله له ولوالديه ولزوجه وولده وللمسلمين والمسلمات

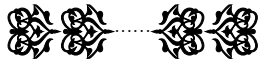

الوقفة الأولى:
الإسلام منهج حياة

اعلم أخي -أرشدك الله إلى ما يحبه ويرضاه- أن الإسلام منهج حياة فهو الدين الذي ارتضاه الله تعالى لِخلقه، وهو رسالة الأنبياء والمرسلين، وهو نهج الأولياء والصالحين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى: ١٣]، وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وقال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣].

والإسلام لغة: هو الانقياد والخضوع والذُّل يقال: اسلم واستسلم أي انقاد[(١)].

---

(١) الصحاح (٥/ ١٩٥٢) ومعجم مقاييس اللغة (٣/ ١٩) ولسان العرب و(١٢/ ٢٩٣) والقاموس المحيط (١٩٩٨).

وشرعا له معنيان:

الأول: الانقياد والاستسلام لأمر الله الكوني القدري طوعا أو كرها وهذا لا ثواب فيه.

قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣]، أي خضع وانقاد.

الثاني: إخلاص العبادة لله ﷻ وحده لا شريك له، وهذا الإسلام هو الذي يحمد عليه العبد ويثاب[(١)].

وقد عرَّفه شيخ الإسلام الإمام الأوَّاب محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله»[(٢)].

والإسلام بالمعنى الثاني ينقسم إلى عام وخاص:

العام: هو الدين الذي جاء به الأنبياء جميعا وهو عبادة الله وحده لا شريك له.

الخاص: هو ما جاء به نبينا محمد ﷺ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولفظ الإسلام يجمع معنيين: أحدهما: الإنقياد والاستسلام، الثاني: إخلاص ذلك وإقراره وعنوانه «لا إله إلا الله» وله معنيان: أحدهما: الدين المشترك وهو عبادة الله وحده لا شريك له الذي بعثت به جميع الأنبياء كما دل على اتحاد دينهم نصوص الكتاب والسنة والثاني: ما اختص به محمد ﷺ من الدين والشرعة

---

(١) الإيمان الوسط لشيخ الإسلام من مجموع الفتاوى (٧/ ٦٣٥) وشرح الأصول الثلاثة للعلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص ٦٤).

(٢) ثلاثة الأصول (ص٦٤) مع شرحها للعلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والمنهاج...وله مرتبتان: أحدهما: الظاهر من القول والعمل وهي المباني الخمسة والثانية: أن يكون ذلك الظاهر مطابقا للباطن[1].

فالخير كل الخير في اتباع تعاليم الإسلام وتطبيق أحكامه قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت ٣٣].

فالإسلام منهج حياة لأسباب كثيره نذكر منها:

١- اولا: الإسلام دين الفطرة:

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟**» ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه اقرؤوا -إن شئتم- ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الروم: ٣٠][2].

فالإسلام دين الفطرة الذي تستشعر النفس في تعاليمه السعادة والأمن والأمان والسكينة والطمأنينة والحياة الطيبة.

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٣٥)، (١/ ١٤) و(١٩/ ١١٧).

(٢) البخاري ومسلم برقم (٢٦٥٨).

٢- ثانيا: الإسلام دين الله تبارك وتعالى:

فالإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله تعالى للبشرية دينا. قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩].

٣- ثالثاً: الإسلام يحقق سعادة البشر:

فمن اتبع الإسلام عقيدةً وقولاً وعملاً وسلوكاً حقق ثمراتٍ عظيمةً منها: الأمن والفرح والهداية والسعادة والدليل على ذلك: قال الله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

وأما من أعرض عن الإسلام عاش معيشة ضنكا وكان مآله العذاب الأليم وبئس المصير، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه١٢٤-١٢٧].

٤- رابعا: الإسلام دين الحضارة والرقي:

بالقرآن والسنة أخرج الله بالنبي محمد ﷺ البشرية من الظلمات إلى النور المبين، وقد أنقذت حضارة الإسلام العالم من ظلمات الجهل والتخلف والانهيار الأخلاقي والقيمي التي سادت العالم قبل الإسلام بعدة عقود، وقد استمدت حضارة الإسلام أصولها وروافدها من القرآن الكريم والسنة المطهرة ثم بانفتاحها على شعوب الأرض جميعا لا تفرق بين لون أو جنس أو دين، وكان فيها من الخصائص المميزة ما أهلها لان تحتل مكان الريادة في العالم وأهم هذه الخصائص:

- **الوحدانية:**

من أبرز ما يميز حضارة الإسلام أنها قامت على أساس الوحدانية المطلقة لله رب العالمين وكان لهذه الوحدانية تأثير واضح انعكس بصورة جليه على حضارة المسلمين وإسهاماتهم في سيرة الإنسانية ومما ساهم في رفع مستوى الإنسان وتحريره من الطغيان وتوجيه الأنظار إلى الله خالق الكون ومُسِّيره قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣]، وهذا ما أعلنه الرسول ﷺ في خطبة الوداع «**يَا أَيُّهَا النَّاس، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى**»[1].

(١) رواية الامام احمد.

• **العالمية:**

تتسم رسالة الإسلام بسعة افقها ورسالتها العالمية قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات: ١٣]، وصبغة العالمية هي التي تؤصل وترسخ لقيم الحق والخير والعدل والمساواة بين النَّاس جميعا دون النظر إلى ألوانهم أو أجناسهم، فكانت رسالته ﷺ رحمة للعالمين جميعا فقال تعالى مخاطبا رسوله ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الانبياء: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨]، ولذلك كانت رسالة الحضارة الإسلامية رسالة عالميه يشترك في تحقيقها كل عرق ولون.

• **التوازن والوسطية:**

التوازن من متطلبات الروح ومتطلبات المادة، التوازن بين أفكار الإنسان وخيالاته، التوازن بين علوم الشرع وعلوم الحياة، التوازن بين الدنيا والآخرة، التوازن بين المثالية والواقعية، التوازن بين الحقوق والواجبات، التوازن بين النزعة الفردية والمصلحة الجماعية قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الجمعة: ٩-١٠]، وهكذا اتسمت حضارة الإسلام بالتوازن والوسطية.

• **الصبغة الأخلاقية:**

ففي الحكم، وفي العلم، وفي التشريع، وفي الحرب، وقي السلم، وفي الاقتصاد، وفي السيرة روعيت المبادئ الأخلاقية في الحضارة الإسلامية تشريعا وتطبيقا، وبلغت في ذلك شأوا ساميا لم تبلغه حضارة في القديم والحديث، ولقد تركت الحضارة الإسلامية في ذلك آثارا تستحق الإعجاب، وتجعلها وحدها بين الحضارات التي كفلت سعادة البشرية خالصةً لا يشوبها شقاء، وهذه الخصائص التي تنفرد بها الحضارة الإسلامية تكتسب طابع الإستمرارية والاستقرار من مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، لأنها نابعة منها ولصيقة بها، وهي بذلك بمنزلة الجوهر النفيس الذي لا يتبدل ولا يتغير، وان تبدلت الأحوال وجدت المستجدات.

٥- خامسا: المنهج الإسلامي يحمل مقومات الحياة الراشدة:

فالإسلام يحمل في تعاليمه كل مقومات الحياة الراشدة الكريمة قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ﴾ [قريش: ٣-٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦]، وقال تعالى حاكيا عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠-١٢]، وقال جل شأنه: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ

وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ [هود: ٨٤]، وهذه الحقيقة تغفل عنها كل المذاهب الوضعية أن العقيدة الإيمانية في الله، وتقواه وتطبيق مسائل الدين ليست مسألة منعزلة عن واقع الحياة وهذا وعد الله ﷻ ومن اصدق من الله حديثا؟

٦- سادسا: المنهج الإسلامي فريضة:

قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة ٥٠]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، ومن الذي يجرؤ على ادعاء انه يشرع للناس ويحكم فيهم خيرا مما يشرع الله لهم ويحكم فيهم؟ وأية حجه يملك أن يسوقها بين يدي هذا الادعاء العريض؟.

إن قضية أن المنهج الإسلامي فريضة لا بد أن تكون واضحة وحاسمة في ضمير المسلم وألا يتردد في تطبيقها على واقع النَّاس، وما لم يحسم ضمير المسلم في هذه القضية، فلن يستقيم له ميزان، ولن يتضح له منهج، ولن يخطو خطوة واحدة في الطريق الصحيح.

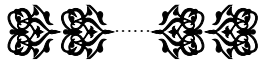

الوقفة الثانية
بيان أهداف الإسلام

اعلم أخي -رحمني الله وإياك- أن الله تعالى خلق الإنسان لغايات وأهمها: عبادة الله وحده لا شريك له وعدم الشرك به قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ولتحقيق هذا الهدف أنزل الله الكتب وأرسل الرسل لهداية عباده ولتحقيق ما يلي:

١) دعوة النَّاس إلى عبادة الله وحده وتحريرهم من عبودية غيره من طواغيت وطبيعة قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

٢) تعليم النَّاس منهج السماء بما فيه من عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملات ونظم سياسيه واجتماعية واقتصادية وتربوية وجهادية وتعليمية ثم وجوب العمل بما تعلَّموه وتطبيق ذلك تطبيقا كاملا في جميع طرائق الحياة.

٣) وفي ذلك التعليم تأديب وتزكية وإصلاح للناس جميعا قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢]، فدين الإسلام دين تكافل وتراحم، ودين تعاطف وشفقة، ودين معاملة وإحسان، وعمل على ذلك أولو العزائم. أصحاب رسول الله ﷺ فدانت لهم الدنيا، وتحطمت تحت أقدامهم تيجان الجبابرة من أقاصرة وأكاسرة، وملكوا أزمة الأمور، ووصفهم رب العزة في كتابه بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ

مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩]. فكانت الشدة منهم على الكفار، وكانت الرحمة والشفقة بينهم، مثلاً للعادلين والمتأسين.

والدين الإسلامي في مجموعه وحدة متماسكة الأطراف محكمة العرى تألف بين جملة من الحقوق، الأخذ بها في مجموعها أمر لا بد منه.

- فتوحيد الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله، وتأليهه وإفراده بكامل العبودية والتقديس، كل ذلك جزء من عقيدة المسلم ومن طليعة ما يجب ان يعنى به قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٢].
- وهذا هو الأمر الأول والحق الأول بالنسبة لخالق الكون ومدبره ومربيه بنعمه وأفضاله.
- الحق الثاني: ويتعلق بصلاح الجماعة المسلمة وتكوين وحدتها وتنظيم أهدافها وتكفلها الصالح العام وتضافر جهودها لتحقيق الأخوة الإيمانية التي نص عليها الله تعالى بقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠].
- وقد أوضحت السنة النبوية المطهرة مدلول هذا الإخاء وهذا الحق وأهدافه ومدى الأخذ به كمبدأ من مبادئ الدين، في جملة من الأحاديث

وفي صور مختلفة:

١- فمرة يكون التوجيه إليه بالترفع عن الظلم، وعدم التعدي على الغير، والتحذير من الشح، والنهي عن الإضرار كما صح ذلك عن رسول الله ﷺ عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ يَسْفِكُوا دِمَاءَهُمْ، وَيَسْتَحِلُّوا مَحَارِمَهُمْ**»[(١)]، وعن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا ضرر ولا ضرار**»[(٢)].

٢- وتارة يكون التوجيه إلى هذا الحق والتنويه عن مدى الترابط الإيماني والتكافل في الحقوق فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره، التقوى هاهنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه**»[(٣)]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفَّس الله عنه**

---

(١) أخرجه مسلم (٨/ ١٨) برقم (٦٦٦٨) واحمد (٣/ ٣٢٣) برقم (١٤٥١٥) والبخاري في الأدب المفرد (٤٨٣).

(٢) حديث حسن رواه ابن ماجه (٢٣٩١) والدارقطني (٤/ ٢٢٨) ومالك في الموطأ (٢/ ٧٤٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤).

كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر، يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد، ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما، سهَّل الله له به طريقا إلى الجنة، وما جلس قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطَّأ به عمله، لم يسرع به نسبه»[(١)].

٣- وتارة يكون التوجيه إلى هذا الحق بتصوير واقع الأخوة والإيمان، والتعريف بطرف من مسالكها، كما يتضح ذلك من حديث أبي موسى الأشعري في الصحيحين قال ﷺ قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، وشبَّك بين أصابعه**»[(٢)]، وفيما أخرجه البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[(٣)]، وما جاء في الصحيحين أيضا من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[(٤)]، والنفي الوارد في الحديث نفي كمال

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) والإمام احمد (٢/ ٢٥٢) والترمذي (٢٩٤٥) وابن ماجه (٢٢٥).
(٢) البخاري برقم (٦٠٢٦)، (٢٤٤٦) ومسلم في صحيحة برقم (٢٥٨٥).
(٣) البخاري برقم (٦٠١١) ومسلم برقم (٢٥٨٦) واللفظ له.
(٤) البخاري كتاب الإيمان برقم (١٣) ومسلم كتاب الإيمان برقم (٤٥)، (٧١).

الإيمان لا نفي صحة الإيمان لأن هذا العمل من باب النصيحة فيكون النفي هنا نفيا لكمال الإيمان وتمامه لا نفيا لأصله، والحب الوارد في الحديث مقيد «بالخير» ففي رواية لهذا الحديث: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير**» كما جاء عند ابن حبان بلفظ «**لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير**»[(١)].

٤- وتارة يكون التوجيه إلى هذا الحق باستدرار العطف والرحمة والحث على الرفق والشفقة، أخرج الترمذي بسند صحيح من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، الرحم شِجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله**»[(٢)].

٥- فإذا قست القلوب، والتاثت العقول، وتحجرت الضمائر، وتصامت الآذان عن أمثال هذه التوجيهات الرشيدة يكون العلاج عندئذ ترهيبا وتخويفا يكبح جماح النفس، وتوعدا وزجرا تتحدد به الغاية، ويعلم منه المصير، يفصح عنه قول الرسول ﷺ فيما جاء عند البخاري ومسلم من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لا يرحم النَّاس لا يرحمه الله** عَزَّ وَجَلَّ» رواه احمد وزاد فيه ومن لا يغفر لا يغفر له[(٣)]، وعن عمرو بن حبيب، أنه قال لسعد بن عمرو: أما علمت أن رسول الله

---

(١) صححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الترغيب (١٧٨٠).

(٢) اخرج الترمذي وصححه العلامة الألباني في صحيح الترمذي برقم (١٩٢٤).

(٣) صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٧٢) برقم (٢٢٥٢).

ﷺ قال: «**خاب عبد وخسر، لم يجعل الله تعالى في قلبه رحمة للبشر**»[١]، وعند الترمذي وقال حديث حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت الصادق والمصدوق صاحب هذه الحجرة أبا القاسم ﷺ يقول: «**لا تنزع الرحمة إلا من شقي**»[٢]، وعند الترمذي وحسَّنه من حديث أبي صِرمة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ضارَّ مسلما ضارَّه الله، ومن شاق مسلما شق الله عليه**»[٣]، وهذا في باب المقابلة -الجزاء من جنس العمل-، فمن أدخل على مسلم مضرة في نفسه أو ماله او عرضه عامله الله ﷻ من جنس عمله فأدخل عليه من الابتلاءات ما يضره وناهيكم -عباد الله- بمضار الله ومشاقته -جل شانه-إنها القصاص العادل، قصاص رب العالمين جزاءً وفاقا ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]، إنها نقمة الله وشديد أخذه فاحذروا نقمته وأخذه ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، فاتقوا الله عباد الله واعرفوا لله حقه، فأفردوه به.واعبدوه على هدى وبصيرة، واعرفوا للجماعة حقوقها، فارعوها حق رعايتها ليكمل لكم الدين ولتكونوا من حزب الله وأوليائه المفلحين قال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

---

(١) السلسلة الصحيحة (١/ ٨١٨) برقم (٤٥٦).

(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن وفي بض النسخ قال صحيح انظر صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٢٦١) ورواه ابو داود واللفظ له وابن حبان في صحيحه.

(٣) أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه وراجع بلوغ المرام برقم (١٤٣٩).

الوقفة الثالثة
أثر المنهج على أهل السنة

اعلم أخي -رحمني الله وإياك- أنَّ المنهج الذي لا يجوز لأحد خلافه هو اتباع كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ وإجماع أمَّة الإسلام، وهذه الأصول الثلاثة هي أصول الدين المعصومة فقط التي لا يتطرق إليها خلل مطلقا.

أولاً: تعريف المنهج:

المقصود بالمنهج الطريق والسبيل الذي كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم.

والمنهاج: الطريق الواضح والمنهاج كالمنهج، أنهج الطريق: وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيِّناً[1]، قال تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة: ٤٨]، قال مجاهد: الشرعة السنة، والمنهاج الطريق الواضح، قال قتيبة: الشرعة والشريعة واحد والمنهاج: الطريق الواضح.

وقيل: الشرعة ابتداء الطريق والمنهاج: الطريق المستمر.قاله ابن المبرِّد.

وقيل: إن الشرعة الطريق الذي ربما كان واضحاً وربما كان غير واضح، والمنهاج: الطريق الذي لا يكون إلا واضحا ذكره ابن الأنباري[2].

وقد اختار الله تعالى أمة محمد ﷺ على سائر الأمم والملل وأوضح لها الطريق وأبان لها السبيل... قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ

(١) لسان العرب (٦/ ٤٥٥٤).

(٢) زاد المسير (٢/ ٢٨٤).

وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [المائدة: ٣].

وقد بين النبي ﷺ وضوح الطريق وأنَّه كالشمس في رابعة النهار فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: خرج علينا النبي ﷺ فقال: «**وأيْمُ الله لقد تركتكم على مِثْلِ البيضاء ليلها ونهارها سواء**»، قال أبو الدرداء: صدق رسول الله ﷺ تركنا والله على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء[(١)].

فهذه الأمة أوتيت الكتاب واصطفيت وكانت خير أمة أخرجت للناس، وهي شهيدة على النَّاس يوم القيامة حيث يشهد عليها رسولها ﷺ قال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ [البقرة: ١٤٣]، والله تبارك وتعالى اختص واختار من هذه الأمة المصطفاة المختارة طائفة بعينها، وهي في هذه الأمة كأمة الإسلام بين أهل الأديان وسائر الملل، وهذه الفئة والطائفة هي أهل السنة والجماعة.

... ولهذه التسمية مدلولها ففيها وبها يتميز المنهج والخاصية العظمى لأهل السنة والجماعة، «عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أنه قال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا عن ثنتين وسبعين مِلة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة»[(٢)].

---

(١) حديث حسن رواه ابن ماجه (٥).

(٢) أبو داود (٣٩٨١) واحمد (١٦٤٩٠).

ومعلوم أنَّ كثيراً ممن انتسبوا إلى الإسلام قد اختلفوا في حقيقة الدين، وخالفوا كتاب اللهﷻ وسنة نبيه ﷺ وخرجوا عن إجماع الصحابة رضي الله عنهم واتبعوا أهواءهم وجعلوا هذه الأهواء أقوالاً واعتقاداً وتحزبوا حولها وافترقوا بها عن سائر الأمة ممن بقي متماسكاً بالكتاب والسُنَّة والإجماع، وهذه الأهواء لا شك أنها نشأت جميعاً بعد عصر الصحابة فلم يكن من الصحابة أحد -بحمد الله- داعيا إلى بدعة ولا صاحب هوى ولا صاحب طريقه مخالفة للكتاب والسنة، وإنما نشأت البدع فيمن بعدهم، وتصدى أصحاب رسول الله ﷺ لبيان هذه البدع وحاربوها وبينوا ضلالها وضلال أهلها.

وأهل السنة يردون كل قول، وكل خلاف إلى هذه الأصول فما وافق الكتاب والسنة والإجماع قبلوه وما خالفها رفضوه من قائله كائنا من كان فإنه لا أحد معصوم ولا قول معصوم سوى ذلك أي الكتاب والسنة والإجماع.

وأهل السنة والجماعة، أكثر طوائف الأمة حرصا على السنة وتدوينها، وحفظا وعملا، وإن وجد من غيرهم من يهتم بها فهو لخدمة هوى في نفسه، او ليخلط حقاً بباطل.

أما أهل السنة والجماعة فيهتمون بكتاب الله ﷻ حفظا وتلاوة، ويهتمون بسنة النبي ﷺ حفظا وفهما وكذلك تصحيحا وتضعيفا.

ومما يميز أهل السنة والجماعة ويختصون به دون غيرهم من الطوائف أنهم أمة وسط، وهذه الوسطية تتجلى في أمور الإيمان والعقيدة والمنهج جميعا.

ثانياً أثر المنهج على العبادة:

فوضوح المنهج وبيانه له أعظم الأثر على صحة العبادة، وعلى صحة سير العبد الى ربه ومولاه، فكم من أقوام قد اجتهدوا في العبادة وأظهروا الطاعة، فلما اخطئوا الطريق كانت عبادتهم هباءً منثوراً، قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣].

فربما يكون العبد عنده من العبادة، أو مدعيا للاستقامة ولكن المنهج والطريق غير واضح، فوقع في شعبة من شعاب أهل البدع فهلك، ولذلك فالمنهاج يكون بالاستقامة على عقيدة أهل السنة وملازمة منهجهم، مع الحذر من طرق أهل الهلكة، ويكون ذلك ملازما له إلى آخر الطريق.

فمهما حاول العبد أن يطرق بابا من الأبواب أو أن يسير في درب من الدروب، بلا منهج فلن يصل إلى الحقِ.

فهؤلاء الخوارج رغم كثرة صلاتهم وصيامهم، لما جهلوا المنهج وحادوا عن سبيل أهل السنة كانوا أهل الضلالة، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كمروق السهم من الرَّمِيَّة ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نضيِّه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر ويخرجون على حين فرقة من النَّاس**» قال أبو سعيد فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ وأشهد أن عليَّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فأُتي به حتى نظرت إليه

على نعت النبي ﷺ الذي نعته[١].

فهؤلاء أهل عبادة وجهد واستقامة كانوا يسمون بالقرَّاء لشدة اجتهادهم وملازمتهم له، ورغم ذلك يقول الرسول ﷺ: «**يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم**» ورغم ما جدُّوا فيه من الصلاة والصيام إلا أنهم «**يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**».

وهذا عمرو بن عبيد كان من أشهر عبَّاد المدينة قال سفيان بن عيينة: «كان عمرو بن عبيد يصلى الصبح بوضوء العَتَمَة بمكة»[٢].

ورغم ذلك كان منحرفا عن الطريق فقد كان معتزلياً وقدرياً[٣].

فالطرق كثيرة، والشِّعاب متفرقة، والأكثرون يلقون بأنفسهم في طريق الهلكة فماذا يجب عليك حتى تتحقق من خطورة الأمر؟ وتبحث عن طوق النجاة؟

وقد بين النبي ﷺ إن الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقه، تسير في طريق الهلكة ولن ينجوا منها إلى واحدة كما بيّنا سابقا ومن لم يهتم ببداية الطريق فلن يصل إلى النهاية.

فبهذا يتبين بجلاء وضوح وجوب معرفة الحق وأن تقول لنفسك لا أذوق غمضا حتى أصل إليه.

---

(١) البخاري (٣٦١٠) ومسلم (١٠٦٤).

(٢) أخبار مكة (٤٦٧).

(٣) قال الذهبي في ترجمة الميزان (٦٤١٠) المعتزلي القدري مع زهده وتألهه.

«قال بشَّار: قال لي يوسف بن أسباط: تعلموا صحة العمل من سقمه فإني تعلمته في اثنين وعشرين سنة»[١].

وقال الأوزاعي: «اصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكفَّ عما كفوا عنه، وأسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم ولا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم القول إلا بالعمل ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بالنيِّة موافقة للسّنة وكان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل وإنما العمل من الإيمان، والإيمان من العمل وإنما الإيمان اسم جامع كما يجمع هذه الأديان اسمها ويصدقه العمل، فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدق ذلك بعمله فتلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن قال بلسانه ولم يعرف بقلبه ولم يصدق بعمله لم يقبل منه وكان في الآخرة من الخاسرين»[٢].

وقد خشي النبي ﷺ على الأنصار لما رأى من إيثارهم فبين لهم الطريق حتى يكون وضحا بلا لبس أو غموض.

فعن أنس رضي الله عنه قال: أراد النبي ﷺ أن يقطع من البحرين فقال الأنصار حتى تقطع لإخواننا من المهاجرين مثل الذي يُقطع لنا قال: «**سترون بعدي أثرةً فاصبروا حتى تلقوني**»[٣].

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (٦/ ١٤٤).

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (٦/ ١٤٤).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٧٧).

تأمل معي هذا الحديث لما رأى النبي ﷺ محبة الأنصار لإخوانهم من المهاجرين، وتعلقهم بهم حتى أنهم لا يأخذون شيئاً إلا وطلبوا مثله لإخوانهم من المهاجرين فخاف عليهم النبي ﷺ أن يحرموا بعض الحق فيصرفهم عن الطريق فحدد لهم المنهج الذي يعاملون به النَّاس في أمر الإيثار حتى يلقوا النبي ﷺ يوم القيامة وهم على الطريق.

ثالثا: أثر المنهج على الثبات على الطريق:

فمن نعم الله ﷻ أن الطائفة الباقية على الحق ثابتة هي أهل السنة الجماعة، فإن الفرق التي تظهر وتخبوا تنتشر وتتقلص وتذوب وتنقطع، أما أهل السنة فإنهم على الطريق خلف نبيهم ﷺ سائرين، قد وضح لهم الطريق وبانت أعلامه، فإذا وضح الطريق كان القذف في النار أحب إلى العبد من الكفر.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المرءَ لا يُحِبُّهُ إِلا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يعود فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ**»[(١)].

قال البيهقي رحمه الله: فأبان ﷺ بهذا الخبر أن الشح بالدين من الإيمان لأن ذكر الحلاوة مثل الإيمان، وأراد أن الشحيح بدينه كالمتطعم بالشيء الحلو فكما أن الراغب في الإيمان لا يسلم له مقصوده منه إلا وأن يكون شحيحا به، فإنه إذا شح بالإيمان لم يأت بما يفسده عليه، كما أن من وجد حلاوة الحلو لم يأت بما يبطلها عليه والله اعلم[(٢)].

---

(١) البخاري (١٦) ومسلم (٤٣).

(٢) البيهقي شعب الإيمان (٢/ ١٣٦).

فمن الواجب تحديد المنهج وبيان الطريق قبل أن يخطو العبد خطوة ولا يكون ذلك إلا بالعلم.

وحينما كان علماء الأمة متوافرين وراية السنة عالية ورايات البدع منكَّسه، كان السواد الأعظم من الأمة هم أهل السنة والجماعة، وهذا ينبئك عن خطورة فقد العلم وغياب العلماء.

وقال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ باب العلم قبل القول والعمل لقوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ فبدأ بالعلم وأن العلماء هم ورثة الأنبياء ورَّثوا العلم من أخذه اخذ بحظ وافر ومن سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقا إلي الجنة وقال جل ذكره: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ وقال: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ وقال: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ وقال: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وقال النبي ﷺ: «**من يرد الله به خيرا يفقه في الدين**»، «**وإنما العلم بالتعلم**».

وقال أبو ذر لو وضعتم الصَّمصامة على هذه وأشار إلى قفاه ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من النبي ﷺ قبل أن تجيزوا عليَّ لانفذتها.

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كونوا ربانيين حلماء فقهاء ويقال الرباني الذي يربي النَّاس بصغار العلم قبل كباره.

قال هلال بن خباب: قلت لسعيد بن جبير: ما علامة هلاك النَّاس؟ قال: إذا ذهب علماؤهم[1].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢٦).

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: من طلب الرياسة فرَّت منه، وإذا تصدر الحدث فاته علم كثير[١].

من أجل ذلك كان لا بد من بيان هذه المصطلحات حتى لا تتداخل الخيوط، وتتفرع الطرق، ويحدث اللبس، ويزيد الغموض.

أ- أهل السنة والجماعة:

إن أهل السنة والجماعة، والطائفة المنصورة الباقية على الدين الصحيح إلى قيام الساعة: هم الذين اعتصموا بأصول الإسلام المعصومة، وهذه الأصول هي: الكتاب والسنة وما أجمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ وهذه الأصول هي الأصول المعصومة التي لا يتطرق إليها خلل، أو شك.

وقد سميت هذه الطائفة بأهل السنة لأنهم تمسكوا بسنة رسول الله ﷺ وهذا أصل واجب الاتباع.

وكذلك في المقابل أهل البدعة الذين اخترعوا أقوالا وأعمالا مبتدعة في الدين جعلوها أصلا يجتمعون عليه ويتسمون به ويفترقون به عن أهل الإسلام.

وأما أهل السنة والجماعة فإنهم تسموا بهذا الاسم «الجماعة» لالتزامهم بالجماعة وهي جماعة أهل الإسلام ونبذهم الفرقة والخلاف، وحكمهم بالإسلام لكل من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله ولم يخرج عنها بكفر ظاهر وولاؤهم لجميع المسلمين على حسب تمسكهم بهذه الأصول لا إلى ولاء مكاني أو تبعية أو غيرها مما يجتمع عليه النَّاس.

---

(١) صفة الصفوة (٢/ ٣٢٦).

ومن أجل ذلك كان أهل هذه الطائفة الحقة هم الذين قام فيهم الإسلام واضحا جليا من حيث الاتباع والإلتزام والحفظ والتعهد فهم أهل السنة الذين يعملون بها ويدعون إليها، وهم علماء الحديث والأثر المتقدمين ومن نحا نحوهم، وجميع فقهاء الإسلام المشهورين، وأئمة الدين المتبوعين وسادة المسلمين من الصحابة والتابعين.

وشأن هذه الطائفة الاجتماع على كتاب الله تعالى، وسنة رسوله محمد ﷺ ونبذ الفرقة والخلاف، ولذلك كانوا بحمد الله هم سواد أهل الإسلام وعامة المسلمين، وأما غيرهم ففرق، وشراذم، وأهل ضلالات يظهر بعضها ويختفي بعضها على مدى العصور، وتنتشر ضلالتهم حينا ثم تختفي، وتبور أحيانا أخرى فهم دخلاء سرعان ما يخرجون كما بدأوا يعودون.

وأهل السنة والجماعة هم الأمة الحقيقية للإسلام والسواد الأعظم، والقوة الإسلامية المتصلة جيلاً بعد جيل، والطائفة الظاهرة المنصورة القائمة باقية قولا وعملا على مدار السنين، والتي حافظت على أصول الإسلام المعصومة وعملت بمقتضاها بالجملة وهذه الأصول هي الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ولأن الله تعالى شهد لهم بالإيمان والفضل وأثنى عليهم في كتابه فقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وشهد لهم بالفضل كما قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ

سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾ [الفتح: ٢٩].

وشهد سبحانه أنه رضي عنهم كما قال جل وعلا: ﴿ ۞ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴾ [الفتح: ١٨].

وأخبر أنه سبحانه قد تاب عليهم كما قال جل وعلا: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة: ١١٧].

ووعدهم الله بالنصر والتمكين كما قال جل وعلا: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥] وقد فعل سبحانه وتعالى.

نعم قد كان فيهم منافقون بيَّن الله أخبارهم وهتك أستارهم ولكنهم كانوا قلة معلومة محصورة.

أما عامة الصحابة وسوادهم فكانوا من المؤمنين المخلصين المتقين ولذلك قال الله لهم: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وجعل سبحانه إيمانهم مقياساً وميزاناً للإيمان فقال ﷻ: ﴿ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٧].

فإذا أطلق اسم «الجماعة» كما جاء في الحديث «عليكم بالجماعة» كان أول من يدخل في مسمى الجماعة هم أصحاب رسول الله ﷺ كما جاء في الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله لا يجمع أمتي أو قال أمة محمد ﷺ على ضلالة ويد الله مع الجماعة...**».

قال أبو عيسى: وتفسير الجماعة عند أهل العلم هم أهل الفقه والعلم والحديث قال وسمعت الجارود بن معاذ يقول: سمعت علي بن الحسن يقول: سألت عبد الله بن المبارك مَن الجماعة؟ فقال: أبو بكر وعمر قيل له قد مات أبو بكر وعمر قال: فلان وفلان قيل له: قد مات فلان وفلان فقال عبد الله بن المبارك: أبو حمزة السكريَّ جماعة قال أبو عيسى: وأبو حمزة هو محمد بن ميمون وكان شيخا صالحا وإنما قال هذا في حياته عندنا[1].

فكل عالم في زمانه هو الجماعة وهو السواد الأعظم، لأن النَّاس تبع له ولذلك قيل عن عبد الله بن المبارك ذلك....

فعن أسود بن سالم قال: كان ابن المبارك إماما يقتدى به، وكان أثبت النَّاس في السنة إذا رأيت رجلا يغمز ابن المبارك بشيء فاتهمه على الإسلام[2].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء

---

(١) أخرجه الترمذي (٢/ ٦٧) والحاكم (١/ ١١٦) صحيح الجامع (١٨٤٨).
(٢) تاريخ بغداد (١٦٨).

نبيه ﷺ يقاتلون على دينه فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيئ»[١].

من أجل ذلك فإن أهل السنة والجماعة يجعلون إجماع الصحابة على أمر ما حجة قاطعة في الدين، ويقدمون فقههم واجتهادهم على كل فقه واجتهاد ويفسرون القرآن ويفهمون السنة على النحو الذي طبقوه، فهم - أعني أصحاب النبي ﷺ هم قدوة أهل السنة والجماعة في فهم الإسلام والعمل به، ومن أجل ذلك كانت البدعة هي ما خالف القران والسنة وإجماع أصحاب النبي ﷺ.

ب- السَّلَف:

«سَلَفَ»: مضى والسين واللام والفاء أصل يدل على تقدم وسبق من ذلك السلف: الذين مضوا، وفلان سلفاً وسلوفاً: تقدم.

ومن هذا المعنى سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح.

ومدلول كلمة «السلف» يعني أنهم الصحابة والتابعون وأتباعهم وذلك استنادا لما جاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**خير النَّاس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيءُ من بعدهم قوم تسبق شهادتهم أيْمَانهم وأيْمَانُهم شهادتهم**»[٢].

فلو كان على الإجماع لدخل فيهم أهل البدع الذين نشأوا في هذا الزمان، ولو قلنا أنهم الذين يعتمدون على الكتاب والسنة لدخل أيضا كل الطوائف بهذا

---

(١) رواه أحمد (٣٥٨٩).

(٢) البخاري (٦٤٢٩).

المفهوم لأن الكل يدعي أنه على الكتاب والسنة، ولعل الإجابة على هذه الإشكالات تتلخص في هذا الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سئل النبي ﷺ أي النَّاس خير؟ فقال: «**أنا والذين معي ثم الذين على الأثر ثم الذين على الأثر ثم كأنه رفض من بقي**»(١).

فإن المقصود بالأثر هو اتباع الأثر، لذا يقرن العلماء عند ذكرهم أصحاب الحديث فيقولون: «أصحاب الحديث والأثر» فالقرون الأولى هي القرون المفضلة على سبيل الإجمال فهي مفضلة بالسبق والخيرية، والآثار في هذا تغني عن الكلام ثم من تبعهم ونحا نحوهم بإحسان على الدوام.

ج- أهل الحديث والأثر:

هم أهل السنة والجماعة وهم السلف رضي الله عنهم ويرمز إليهم لأنهم رؤوس النَّاس وسلفهم في كل خير ومن تبعهم ونحا نحوهم كان منهم وهو معهم، ولعل أخص أوصاف أهل الحديث أنهم يحتجون بفهم سلف الأمة، الصحابة والتابعون لهم بإحسان يستندون في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء ١١٥].

فقد عدّ سبحانه اتباع غير سبيل المؤمنين - الصحابة ومن نحا نحوهم- ممن تولاه الله ما تولى ومأواه جهنم وساءت مصيراً، والمقصود بالمؤمنين هم الصحابة رضي الله عنهم ومن سار على هديهم وتبعهم إلى قيام الساعة ومن أولى بهذا من أهل الحديث والأثر؟؟!

---

(١) احمد في المسند (٨٥٠٤) وفي طبعة الشيخ احمد شاكر (٨٤٦٤) وصححه.

عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**»(١).

قال يزيد بن هارون رحمه الله شارحا الحديث «إن لم يكونوا أصحاب الحديث، فلا أدري من هم؟» وقال بمثله الإمام أحمد رحمه الله أيضا، وعلي بن المدني رحمه الله ورواه البخاري رحمه الله.

قال الشافعي رحمه الله: «إذا رأيت رجلا من أهل الحديث فكأني رأيت رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ جزاهم الله خيرا، هم حفظوا لنا الأصل، فلهم علينا الفضل»(٢)، وقال: «عليكم بأصحاب الحديث فإنهم أكثر النَّاس صواباً»(٣)، وعن يزيد بن هارون قال: قلت لحماد بن زيد: هل ذكر الله أصحاب الحديث في القرآن؟ قال: بلى الله يقول: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة ١٢٢](٤).

فتبين من هذا أن الفرقة الناجية هم السواد الأعظم من المسلمين؛الذين ساروا على منهج الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة من العلماء والعبَّاد والدعاة والمجاهدين وعوام النَّاس على مختلف طبقاتهم، فمن سار على هذا المنهج ولم يشذ؛ فهو منهم إن شاء الله تبارك وتعالى.

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٢٠).

(٢) سيرة إعلام النبلاء (١٠/ ٦٠).

(٣) سيرة إعلام النبلاء (١٠/ ٧٠).

(٤) الهروى «ذم الكلام» (٤/ ٩٩٦).

فهم مفاتيح الخير مغاليق الشر، فكم من جاهلٍ علّموه، ومن ضالٍ قد ردُّوه، هم أئمة الهدى ومصابيح الدجى والنور الذي بهم يستضاء ويقتدى.

رابعاً: خصائص منهج أهل السنة الجماعة:

من خصائص منهج أهل السنة والجماعة:

١- سلامة مصدر التلقي بعيداً عن النقص والزيادة أو الانحراف وذلك لاعتمادها على الكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضي الله عنهم.

٢- التسليم التام لله ورسوله بلا هوى أو شبهة.

٣- الموافقة والملاءمة للفطرة السليمة.

٤- اتصاله بالنبي ﷺ والصحابة ومن تبعهم بإحسان فما من قول إلا ولهم فيه أثر.

٥- الوضوح والسهولة فهي ميسرة على العالِم والأُمي فهي واضحة كالشمس في رابعة النهار.

٦- الاستمرارية فكل المناهج مبتورة تظهر ثم سرعان ما تنشطر أو تزول أما هي فهي باقية إلى قيام الساعة.

خامساً: منهج أهل السنة في الاعتقاد:

فعلى سبيل الإجمال نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر والقدر خيره وشره، ونؤمن بأن الله هو الرب الخالق المالك المدبر لكل شيء، له الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا، ونؤمن أنه الإله الحق وما دونه من معبود فهو

باطل وأنه -سبحانه- واحد لا شريك له في ربوبيته وأسمائه وصفاته وألوهيته، قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم ٦٥].

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ونؤمن بكل ما ذكر من غيب في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ لفظا ومعنى أما الكيف فنكله إلى الله سبحانه وتعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الشورى ١١-١٢].

ونؤمن بكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره وما أجمع عليه السلف رضي الله عنهم ونسلم تسليماً تاماً لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله محمد ﷺ بالطاعة والتحكيم والاتباع.

فنوحد الله تعالى في ربوبيته فهو الخالق المالك المدبر القائل في كتابه: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧].

ونوحده في أسمائه وصفاته مع علمنا باللفظ والمعنى ونفوض الكيف لله سبحانه وتعالى القائل في كتابه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر ٢٢-٢٤].

ونوحده سبحانه في ألوهيته فهو المعبود بحقّ وما سواه من المعبودات باطل قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الإنعام: ١٦٢-١٦٣]، وتوحيد الألوهية أهم أنواع التوحيد فمن أجل تحقيقه أرسلت الرسل وأنزلت الكتب وفُرِّق بين المؤمنين والكافرين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له، والمرضية له، التي خلق الخلق لها كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فلا صلاح للعبد إلا بربه ومولاه فلا يطمئن إلا بذكره ولا يستريح إلا بعبادته»[1].

وإن كان هذا التقسيم للتوحيد كان اعتقادا ضمنياً عند أهل السنة والجماعة بحيث لا يخرج عن هذه الأنواع الثلاثة، فلما كثرت البدع ووقع الخلل في كل أصل من هذه الأصول افرده أهل العلم بالبيان والتفصيل.

---

(١) انظر كتاب العبادة واجتهاد السلف للشيخ صلاح الدين علي عبد الموجود ميزة.

ينبغي أن نعلم أن المنهج ليس خاصا بفئة دون فئة أو جماعة دون جماعة، فكل من أخذ من الأصل واستقى منه ومضى على الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان فهو من أهل السنة-إن شاء الله- يدخل في عداد أهل الحديث والأثر.

نعم قد تحدث مخالفة في المنهج في بعض المسائل والجزئيات، قد تغفر لصاحبها لسبقه وفضله ما لم يدعو إلى هذه المخالفة ويحاول إلصاقها بالمنهج فإن دعا إليها وانتصر لها نبين قول السلف فيها ولا نبدعه ولا نفسقه - كحال كثير من الشباب المتسرع في الرد وإطلاق الحكم.

إذ لا يسلم أحد من الخطأ والمخالفة ولو بدعنا وفسقنا كل عالِم بخطئه ما سلم لأهل السنة عالم يقتدى به.

وأما من حاد عن منهج أهل السنة والجماعة وخالف معتقدهم فيجب بيان أمره وتوضيح فكره حتى لا يلتبس أمره على عامة المسلمين فلا بد من الشدة على أهل البدع الداعين لها والتحذير من شرهم. والله الموفق[1].

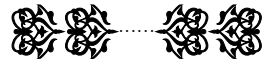

(١) من مقال لفضيلة الشيخ صلاح الدين علي عبد الموجود ميرة.

الوقفة الرابعة:
أصول عقيدة أهل السنة والجماعة

اعلم أخي -أرشدك الله تعالى لما يحبه ويرضاه- أن البشرية قبل بعثة النبي محمد ﷺ كانت في جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، قد اندثرت آثار الرسالات السابقة، فاستحكم أمر الجاهلية، وصار النَّاس متفرقين متشتتين متناحرين لا رابطة تجمعهم، ولا عقيدة ينضوون تحتها، وليس لديهم كتاب من الله يستنيرون به، ويستضيئون بضوئه، لأن الكتب السابقة حرفت وغيرت وانقرض أكثرها فبقيت البشرية في ظلام دامس من جميع النواحي.

ولكنَّ الله سبحانه وتعالى برحمته تكفل أنه يرسل الرسل لهداية النَّاس في ما اختلفوا فيه، ولا يتركهم في ضلالتهم وجهالتهم، بل إنه سبحانه وتعالى-اقتضت رحمته بعباده أنه يرسل الرسل عندما تشتد الحاجة إليهم، وقد اشتدت الحاجة قبل بعثة النبي محمد ﷺ إلى رسول يبين لهم ويهديهم الصراط المستقيم، ويضيء لهم المنهج الذي يسيرون عليه فبعث الله محمداً ﷺ في هذه الفترة قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [المائدة: ١٩]، فقام ﷺ ممتثلاً أمر الله في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴾ [المدّثر: ١-٧]، فقام ﷺ وحيداً في العالم يدعو إلى الله -سبحانه وتعالى- ولم يتبعه إلا أفرادٌ من النَّاس قليلون على خوفٍ من الكفار، وصاروا يسلمون الواحد بعد الواحد، والعرب والعجم كلهم ضد هذه الدعوة المباركة.

ثم إنه ﷺ واصل الدعوة، فاجتمع حوله من اجتمع من المسلمين السابقين على خفية من أعدائهم، ثم إنهم تزايدوا وتزايدوا حتى كثروا، ولكن لا يزال الخناق مُضيقاً عليهم في مكة، وقابلوا من الكفار الأذى الكثير، والضغط الشديد، يريدونهم أن يرجعوا عن إتباع هذا الرسول ﷺ وما يزيدهم ذلك إلا قوة وثباتا، ثم أذن الله – سبحانه وتعالى– لرسوله ﷺ والمسلمين بالهجرة، وهي الانتقال من بلد الحرب إلى بلدٍ يظهرون فيه دينهم، فهاجروا إلى الحبشة عند ملك يقال له: النجاشي من النصارى، لا يظلم عنه أحد، فصاروا هناك في منجى من أذى الكفار، وحاول الكفار استردادهم فلم يفلحوا، ثم إن الله مَنَّ على هذا الملك النجاشي فأسلم، فدخل في دين الله ﷻ ثم بلغ المسلمين أن ضغط الكفار قد خفَّ، أو أنهم تراجعوا عن معارضتهم، فعادوا إلى مكة، فوجدوا الأمر أشدَّ مما كان، ثم عادوا إلى الحبشة وهي الهجرة الثانية إلى الحبشة.

ثم أذن الله – سبحانه– لرسوله بالهجرة إلى المدينة بعدما جاء ناس من أهلها في الحج وعرض عليهم النبي ﷺ دعوته، فدخلت في قلوبهم، وأسمعهم القرآن، وقالوا: إن هذا لهو النبي الذي تهددكم به اليهود، لأن المدينة كان فيها طوائف من اليهود يهددون الأنصار، والأوس والخزرج لم يسمّوا بالأنصار إلا بعد الهجرة، وكان اليهود يهددونهم بأنه سيبعث نبي فنجاهدكم معه قال تعالى عنهم: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

فقال الأنصار فلا يسبقكم إليه يهود، فأمنوا به وبايعوه، ثم في السنة التالية قدم وفد أكثر من الوفد الأول وهي البيعة الثانية وتمت الإتفاقية بينهم وبين

الرسول ﷺ على أن يهاجر إليهم، وأن يحموه مما يحمون منه أنفسهم وأولادهم، فأذن النبي ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة ثمّ لحق بهم، وتكونت دار الهجرة، وتكون المهاجرون والأنصار هناك فقوّى الله أمر رسوله ﷺ.

وكانت أول وقعة حصلت في بدر هزم الله بها المشركين، وانتصر المسلمون في بدر الكبرى، وهذه يصورها قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

هذه نشأة الإسلام شيئاً فشيئاً حتى قوى، وأذن الله لرسوله ﷺ بالجهاد في سبيل الله ﷻ وتآخى المسلمون على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وصاروا إخوة متحابين بدل أن كانوا متعادين متقاطعين، اجتمع الأوس والخزرج الذين كانوا في الجاهلية على حروب بينهم طاحنة اجتمعوا وصاروا إخوة، وبينما هم كذلك حاول اليهود تفريقهم، فلما مرّ يهودي وصحابة رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج مجتمعين في مكان متحابين متآخين، ساءه ذلك فجاء وجلس إليهم ذكّرهم بما كان بينهم في الجاهلية من الحروب والثارات والأشعار المهيجة فحينئذ ثارت ثائرة الحيّين وتواعدوا القتال تأثرا بهذا اليهودي، فجاءهم رسول الله ﷺ وأصلح بينهم وأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فعند ذلك قاموا يتعانقون، ويُسلّم بعضهم على بعض وأبطل الله مكيدة هذا اليهودي.

ثم حاولوا مرة ثانية، فقالوا كما ذكر الله عنهم: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٢]، فحاولوا أن يسلموا ثم يرتدوا في اليوم الواحد حتى إذا رآهم النَّاس اقتدوا بهم، وخرجوا من الدين، وارتدوا عن دين محمد ﷺ لأنهم أهل كتاب فيقولون: ما تركوا هذا الدين إلا لأنهم أهل كتاب ويعرفون أن هذا الدين لا يصلح لكن الله ﷻ أبطل هذه الحيلة أيضا.

ثم حاولوا مرةً ثالثة فدسوا على المسلمين رجلاً يهودياً تظاهر بالإسلام من أهل اليمن يقال له «ابن السوداء» من يهود اليمن هو «عبد الله بن سبأ» فجاء الخبيث مظهراً الإسلام في خلافة عثمان رضي الله عنه صار يهيّج النَّاس عليه، ويحرضهم عليه، فاتبعه من اتبعه من قاصري النظر وضعيفي العقول، فحصلت الفتنة بقتل عثمان رضي الله عنه وظن اليهود أنهم بهذا قضوا على الإسلام، ولكن - ورغم ما حصل من فتنةٍ وقتل بين المسلمين - لازال -سبحانه وتعالى- يحفظ دينه من كيدهم.

والحاصل أن أعداء الإسلام ما يزالون: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقال تعالى عنهم: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢].

فالكيد مستمر ولا منجاة للمسلمين إلا بما ارشد إليه النبي ﷺ عند ظهور الفرق والفتن في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودعٍ فأوصنا، قال: «**أوصيكم بتقوى الله ﷻ، والسمع والطاعة وإن تأمر عليك عبد، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً. فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين**

المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»[1].

فاخبر ﷺ عن حدوث الاختلافات من بعده **وأمر عند ذلك بثلاثة أمور:**

١- أولاً: تقوى الله سبحانه وتعالى:

بفعل أوامره وترك نواهيه والتمسك بدينه وبحبله قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

٢- ثانيا: السمع والطاعة لولي أمر المسلمين:

واجتماع الكلمة وعدم التفرق والاختلاف، لان وليّ أمر المسلمين، يكون ترسا يتترس به المسلمون ضد ما يضرهم، فإمام المسلمين تجتمع عليه الكلمة، وهو الذي يقيم الحدود، وهو الذي ينصف المظلوم من الظالم، ويرد الحقوق إلى مستحقيها، وهو الذي يقيم الجهاد في سبيل الله، وهو الذي يرجع المسلمون إليه عند الاختلاف، فولي أمر المسلمين له مكانة عظيمة في الإسلام وله آثار عظيمة، ولا يصلح المسلمون بدون إمام ولو للحظة واحدة، ولهذا لما توفي النبي ﷺ لم يشتغلوا بجنازته ﷺ حتى نصّبوا إماماً يخلفه وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه مما يدل على أن وجود الإمام ضرورة؛ لأنه هو الذي يقود الجماعة، والله أمرنا بالجماعة، ولا جماعة إلا بإمام، ولا إمام إلا بسمع وطاعة، فلذلك أوصى النبي ﷺ بقوله: (والسمع والطاعة).

---

(١) أخرجه احمد (٤/ ١٢٦) برقم (١٧١٨٤) وأبو داود (٤/ ٢٠٠) برقم (٤٦٠٧) والترمذي (٥/ ٤٤) برقم (٢٦٧٦).

يعني لولي الأمر (وان تأمّر عليكم عبد) والله جل وعلا يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

٣- ثالثاً: التمسك بالسنة:

فقال ﷺ: (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدين من بعدي) فعند الفتن لا منجاة إلا بإتباع الكتاب والسنة.

هذا ما أوصى به النبي ﷺ هي هذا الحديث وفي غيره، فهذه الضوابط التي أوصى بها النبي ﷺ عند حدوث الفتن، فلا بد من إمام، ولا بد من منهج، والمنهج هو سنة الرسول ﷺ وسنة خلفائه الراشدين، امتثل المسلمون هذه الوصايا فقامت دولتهم في عهد رسول الله ﷺ وفي عهد الخلفاء الراشدين.

ثم حدثت الفتن التي اخبر عنها رسول الله ﷺ وظهرت الفرق فأول فرقة ظهرت الشيعة الذين يطعنون في صحابة رسول الله ﷺ وفي الخلفاء الراشدين، ويزعمون أنهم يتبعون أهل البيت بعد الرسول ﷺ وان علياً هو الوصي بعد رسول الله ﷺ وان خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم كلها ظلم واغتصاب للخلافة كما يقولون هؤلاء الشيعة الذين بذرتهم الأولى «عبد الله بن سبأ» اليهودي.

ثم ظهرت فرقة القدرية وهم على فريقين:

أ- القدرية النفاة:

وهم أولئك الذين يعتقدون أن الإنسان صانع أفعاله وخالقها خيرها وشرها، ولا دخل لقدرة الله فيها، وأول من تكلم في القدر نصراني من أهل

العراق أسلم ثم تنصر، وقد استطاع أن ينفذ إلى قلب معبد الجهني الذي أخذ عنه مقالته، وعن معبد تلقاها غيلان الدمشقي، فكان هذا الثالوث المستراب أول من أحدث هذه البدعة التي نهى الرسول ﷺ عن الجدل فيها[١].

ب- الجبرية الغلاة:

وكرد فعل للقدرية النفاة برزت عقيدة تقول: إن أفعال الإنسان خيرها وشرها من الله، وأن نسبتها إلى العبد إنما هي على سبيل المجاز، كقولنا: جرى النهر وإنما الذي أجراه حقيقة هو الله، فالإنسان في زعمهم كالريشة في مهب الريح، ولهذا قيل أن الجبرية والقدرية متقابلتان تقابل التضاد[٢].

ونسبت هذه الفرقة إلى (جهم بن صفوان) فقيل عنها (جهمية)، ويعد أيضا (الجعد بن درهم) المؤسس الأول لها فهو أول من ابتدع القول بخلق القرآن وتعطيل الله عن صفاته[٣].

وتلاشت كل من القدرية والجهمية إلا أن المعتزلة ورثتهما، وامتصت مبادئهما لتظهر من جديد قوية على يدهم، حتى أن الإمام الشافعي رضي الله عنه يجعل واصلاً وعمراً وغيلان الدمشقي في صف واحد[٤].

ولعل هذا هو السبب في تسميتهم بالقدرية والجهمية:

---

(١) هدي الساري (٢/ ٧٢٢)، وأدب المعتزلة: (١٢٠).

(٢) ملل الشهرستاني (١/ ٤٣).

(٣) ملل الشهرستاني هامش رقم: (١/ ٨٦).

(٤) فضل الاعتزال: (٨٤).

فهم قدرية:

لأنهم ورثوا عن القدرية القول بنفي القدر، ونسبة الأفعال كلها إلى العبد بلا تأثير من الله [١].

وهم جهمية:

لأنهم ورثوا عنهم القول بنفي الصفات، وخلق القرآن، وإنكار رؤية الله تعالى يوم القيامة[٢].

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فكل معتزلي جهمي وليس كل جهمي معتزلياً»[٣].

ذلك أن المعتزلة يختلفون مع الجهمية في الجبر إذ ينفون القدر في حين يثبت الجهمية الجبر[٤].

والمعتزلة لا يرتضون هذه التسمية، إذ يرون أن مثبتي القدر أولى بأن يسموا قدرية، وينفرون كذلك من الانتساب إلى الجهمية لأن جهماً يقول بالجبر فضلاً عن كونه غير تقي [٥].

يقول بشر بن المعتمر: «ننفيهم عنا ولسنا منهم ولا هم منا ولا نرضاهم»[٦].

---

(١) آداب المعتزلة: (١٢٢).

(٢) أدب المعتزلة: (١٢٣).

(٣) منهاج السنة: (٢/ ٤٨٤).

(٤) فجر الإسلام: (٣/ ٢٨٧).

(٥) فجر الإسلام: (٢٨٧-٢٨٨).

(٦) المعتزلة: (٩).

ثم ظهرت فرقة (الخوارج) فكفروا المسلمين بالكبيرة والصغيرة وخرجوا على ولاة الأمر بالسيف بناءً على حكمهم بتكفير المسلمين بالكبيرة فإذا حصل من ولي الأمر معصية أو مخالفة فإنهم يكفرونه وبالتالي يخرجون عليه ويقاتلونه وهذا مذهب الخوارج يجمع بين الأمرين: الخروج على ولي أمر المسلمين بحجة انه فعل كبيرة دون الشرك وبالتالي يخرجون عليه ويسفكون دماء المسلمين الذين يخالفونهم في هذا الاعتقاد الباطل فكم قتلوا من المسلمين كما اخبر عنهم النبي ﷺ بقوله (يقتلون اهل الأيمان، ويدعون أهل الأوثان)فهذه صفة الخوارج والعياذ بالله فرقة مارقة (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)[١].

فسادهم كبير لأنهم يسفكون الدماء ويحاولون أن ينقضوا عصا الطاعة، ويفرقوا الجماعة وهذا من أعظم الأخطار التي تحصل للمسلمين بسبب هذا المذهب الخبيث وهذه الفرقة، ولهذا حث النبي ﷺ على قتالهم وقال: «**فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة**»[٢].

مع أنهم يعبدون الله ويصلون بالليل ويصومون بالنهار وتوسمت جباههم من كثرة السجود لكن ليسوا على فقه ولا علم ولا منهج السلف، ولذلك لم تنفعهم عبادتهم، وصلاتهم وصيامهم قال ﷺ: «**يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم. يقرءون القران لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٢١٩) رقم (٣١٥٦) ومسلم (٢/ ٧٩١) رقم (١٠٦٤).
(٢) البخاري (٥/ ٢٥٣٩) رقم (٦٥٣) ومسلم (٢/ ٧٤١) رقم (١٠٦٤).
(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٢١) رقم (٣٤١٤) ومسلم (٢/ ٧٤٩) رقم (١٠٦٤).

هذه فرق ظهرت وتجذرت في الإسلام وقد انشقت عنها فرق أخرى وتنوعت حتى بلغت مبلغا كبيرا، ولهذا أخبر النبي ﷺ عن افتراق الأمة فقال ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعين في النار وواحدة في الجنة والذي نفسي بيده لتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وثنتان وسبعين في النار**» قيل: يا رسول الله فمن هم؟ قال: «**الجماعة**»(١).

وفي رواية «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»(٢).

..هكذا ظهرت الفرق كما أخبر النبي ﷺ وجميع الفرق هالكة إلا الفرقة الناجية وهم أهل السنة والجماعة الذين اتبعوا سنة رسول الله ﷺ وحافظوا على الجماعة والاجتماع على ولي أمر المسلمين والسمع والطاعة له في المعروف هذه الطائفة المنصورة الناجية لها أصول يجب علينا معرفتها لعل الله أن يجعلنا منهم وأن يجنبنا فرق الضلال بمنه وكرمه وإليك أصول مذهب أهل السنة والجماعة:

الأصل الأول: الإيمان بالله ﷻ:

فهم يحققون الإيمان الصحيح بالله ﷻ والذي هو اعتقاد وقول وعمل فيوحدون الله تعالى حق التوحيد في ربوبيته وأسمائه وصفاته وإلوهيته ويؤمنون

---

(١) أخرجه ابن ماجة (٢/ ١٣٢٢) رقم (٣٩٩٢) قال البوصيري (٤/ ١٧٩) هذا إسناد فيه مقال، راشد بن سعد قال فيه أبو حاتم: صدوق وعباد بن يوسف لم يخرج له سوى ابن ماجة وليس له عندي سوى هذا الحديث.

(٢) أخرجه الطبراني في الوسط (٥/ ١٣٧) برقم (٤٨٨٦) قال الهيثمي (١/ ١٨٩٩) فيه عبد الله بن سفيان قال العقيلي: لا يتابع على حديث هذا وقد ذكره ابن حبان في الثقات.

بالملائكة وبالكتب وبالرسل وباليوم الأخر وبالقدر خيره وشره ويؤمنون بكل ما سبق على مقتضى ما جاء في الكتاب والسنة.

الأصل الثاني: اتباع الكتاب والسنة:

لا يستدلون إلا بقال الله، قال رسوله ﷺ أو إجماع المسلمين فلا يستدلون بقواعد المنطق وعلم الكلام وما عليه أهل الضلال إنما دليلهم الكتاب والسنة والإجماع.

الأصل الثالث: أنهم يحبون صحابة رسول الله ﷺ:

يحبونهم ولا يفرقون بينهم فيحبون المهاجرين والأنصار ويحبون أهل البيت لا يفرقون بين أحد منهم ويعرفون لأهل البيت حقّ قرابتهم من رسول الله ﷺ لكن لا يغلون فيهم كما تغلو الشيعة ولا يقللون من غيرهم لقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

أما أهل الضلال فإنهم يغلون في أهل البيت ويجفون في حق الصحابة ويكفرونهم ويصفونهم بالظلم والطغيان والعياذ بالله.

أما أهل السنة فأنهم يحبون صحابة رسول الله ﷺ لان الله تعالى أثنى عليهم ورضي عنهم وجعل إيمانهم مقياسا للإيمان ومات رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «العقيدة الوسطية»: (ومن أصول أهل السنة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ) [1].

(١) العقيدة الوسطية (ص: ١٢).

الأصل الرابع: طاعة ولي أمر المسلمين وعدم الخروج عليه:

وعدم نشر نقائصه وما عنده من الخلل على النَّاس في المنتديات أو في الأشرطة بل إننا نحترم ولاة أمور المسلمين وإن كانت عندهم أخطاء فإنهم ولاة امور المسلمين وقد أوصى النبي ﷺ بطاعتهم ونهى عن مخالفتهم والخروج عليهم، ونهى عن سبهم وتنقصهم، لكن هذا لا يمنع المناصحة لهم إذا حصل خلل وتكون النصيحة سراً - مع ضابط الطاعة في المعروف لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق -.

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يرضى لكم ثلاثا فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وتعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاة الله أمركم**» [1]، ومن النصيحة لهم بيان الخطأ الذي يقع أو يحصل ليتركوه ويكون هذا بين الناصح والمنصوح لا فضيحة وهذا من حقهم عليك، ومن النصيحة لولاة الأمور القيام بالأعمال التي ينيطونها بك، بان تقوم بالعمل الذي ولاك عليه ولي الأمر ولا تخن فيه ولا تتساهل، ومن النصيحة لهم الدعاء لهم بالصلاح والاستقامة.

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: (لو أعلم أن لي دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان) لأن صلاح السلطان صلاح للإسلام والمسلمين، وسن الألسنة عليهم والتهييج ضدهم هذه طريقة الخوارج، أما طريقة أهل السنة فإنهم يحترمون ولاة أمورهم ويناصحونهم ويدعون لهم ويتعاونون معهم على البر والتقوى.

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٣٤٠) برقم (١٧١٥).

الأصل الخامس: القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ والاعتماد في ذلك على ما توجبه الشريعة:

قال ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الإيمان**» [(١)]، ولا يكون الإنكار بالشدة والغلظة والقسوة، بل يكون بالطرق الشرعية التي يزول بها المنكر او يخف فلا بد له من علم وعدل ورفق، فلا بد أن يكون الأمر والنهي على طريقة الرسول ﷺ فاللين له موضعه والحزم والشدة لها موضعها وهذه هي الحكمة.

الأصل السادس: ألا يشاركوا ولي الأمر في مهامه إلا أن يكون مناصحة:

فالأعمال التي يختص بها الإمام ينيطونها به، مثل الجهاد فالجهاد واجب على المسلمين عند الاستطاعة، وبه يحفظ الدين وتصان كرامة المسلمين لكن الجهاد من صلاحيات ولي أمر المسلمين وهو الذي ينظر فيه، ويأمر به، ويعد العدة له، ويتولاه بنفسه أو يوكل من يقود الجيش أو السرية كل هذا من صلاحيات ولي الأمر، إما أن يأخذ كل واحد سلاحا ويذهب يفجر ويضرب ويقول: هذا من الجهاد لا، هذا كذب على الإسلام، ليس هذا من الجهاد ما لم يأمر أو يأذن به ولي الأمر.

ولهذا يذكر العلماء في كتب العقيدة أن من أصول أهل السنة والجماعة الجهاد مع الأمام سواء كان براً أو فاجرا، فيتبعون فيه ولي الأمر يجاهدون معه ويدافعون معه عن المسلمين وعن الإسلام ويد الله مع الجماعة أما الفوضى فهذه لا يقرها الإسلام.

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٦٩) برقم (٤٩).

الأصل السابع: النصيحة للمسلمين:

قال رسول الله ﷺ: «**الدين النصيحة قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»(١)، فالنصيحة مطلوبة والغش محرم سواء كان غشاً في المعاملة أو في الرأي إذا استشارك او بإفشاء سرِّه فهذا خلاف النصيحة.

قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه**»(٢)، قال ﷺ: «**من حمل علينا السلاح فليس منا**»(٣)، إلى غير ذلك من الأمور، فالمسلم يكون مع المسلمين يؤلمه ما يؤلمهم، ويسره ما يسرهم.

قال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**» (٤)، والله تعالى يقول: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

هذا والله الهادي إلى سواء السبيل.

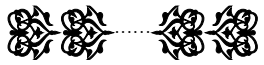

(١) أخرجه مسلم (١/ ٧٤) برقم (٥٥).
(٢) البخاري (١/ ١٤) برقم (١٣) ومسلم (١/ ٦٧) برقم (٤٥٠).
(٣) البخاري (٦/ ٢٥٢٠) برقم (٦٤٨٠) ومسلم (١/ ٩٨) برقم (٩٨)من طريق مالك.
(٤) أخرجه احمد (٤/ ٢٧٠) برقم (١٨٤٠٤) مسلم (٤/ ٩٩٩) برقم (٢٥٨٦).

الوقفة الخامسة
أصول أهل السنة في الأسماء والصفات

اعلم أخي - أرشدك الله إلى ما يحبه ويرضاه - أن موضوع الإيمان يعتبر هو تاج العقيدة، وقمة مباحث العقيدة وموضوعاتها؛ لأنه يتعلق بالله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله ولا شك أن غاية التوحيد هو معرفة الله ﷻ وعبادته والتوجه إليه وهذا يسمى التوحيد العلمي الاعتقادي، توحيد الله ﷻ بذاته وأسمائه وأفعاله وما يجب له سبحانه ويسمى التوحيد «العلمي» لأنه علم يتلقى عن الوحي المعصوم، ويسمى الاعتقادي لأنه يجب ان يعتقد ولا يجوز لمسلم أن يخل بما يجب لله ﷻ على جهة الإجمال وما يبلغه أيضاً على جهة التفصيل.

وهذا التوحيد العلمي الاعتقادي أو ما يتعلق بذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ثم ما يترتب على ذلك من ثمرات في قلب المؤمن وسلوكه.

وهناك بعض القواعد المهمة المفيدة التي ينبغي أن يستصحبها كل مسلم في قلبه وفي نظراته تجاه حقوق الله ﷻ وما يجب له وتجاه أمور الدين ومسلماته.

وأهم هذه القواعد في باب الأسماء والصفات والأفعال:

- **القاعدة الأولى:**

أن أسماء الله وصفاته وأفعاله حسنى بالغة الحسن بالغة الكمال والجمال، فالله ﷻ موصوف بصفات الكمال وصفات الجمال جملة وتفصيلاً، فجميع أسمائه وصفاته وأفعاله حسنى كما قال ﷻ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فكلها حسنى بإطلاق وتشتمل على كل معاني الحسن والكمال والجمال.

- **القاعدة الثانية:**

أنها غاية الكمال في كل شيء..في معانيها وفي ألفاظها وفي حقائقها وفي ثمارها وفي غاياتها.

- **القاعدة الثالثة:**

أنه لا يرد إليها النقص بوجه أي: أن أسماء الله وصفاته وأفعاله لا يمكن أن يرد فيها ولا إليها ولا حولها لا في الذهن الصافي ولا في قلب مؤمن، لايمكن أن يرد فيها شيء من تصور النقص في أسماء الله وصفاته وأفعاله.

- **القاعدة الرابعة:**

أنها حقائق وأعلام وأوصاف، حقائق بمعنى أنه يوصف الله بها على الحقيقة، فالأسماء يسمى بها الله ﷻ على الحقيقة، والصفات يوصف الله بها على الحقيقة، والأفعال أيضا منسوبة إلى الله ﷻ على الحقيقة على ما يليق بجلال الله سبحانه؛لان مفهوم الحقيقة قد يتبادر إلى أذهان بعض النَّاس أن المقصود بالحقيقة الكيفية وهذا لا شك أنه لا سبيل لإدراكه فالكيف لا يعلمه إلا الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، لكنه سبحانه موصوف بالحق فهو الحق وأسمائه حق وصفاته حق وأفعاله حق وعلى هذا فإنها أعلام أي: أنها تطلق على الله وهو سبحانه علم معروف بآياته وبنعمه وبجميع أنواع المعارف، فإنه ﷻ لا يخفى أمره على أحد ولذلك قرر الله ﷻ هذه القاعدة لجميع العقلاء يقول: ﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن

﴿نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم ١٠-١١].

فإذا كان كذلك فهو مسمى بأسماء هي أعلام على ذاته وان كانت هذه الأسماء تدل على صفات وأفعال، وتدل على معني الكمال، فهي كذلك أوصاف من حيث مضامينها

ومعانيها وحقائقها، فأسماء الله وصفاته حقائق لا مجازات وهي حقائق لا رموز.

- **القاعة الخامسة:**

أنها توقيفيه، فأسماء الله وصفاته وأفعاله على جهة التفصيل موقوفة على ما جاء به النص، فالعقول السليمة والفطرة المستقيمة تدرك كثيراً من الكمالات لله على وجه الإجمال، فوجود الله وعظمته وكماله سبحانه واتصافه بصفات الكمال، وأيضا إدراك علمه وحكمته وسائر الصفات والمعاني الإجمالية تدرك أكثرها لله ﷻ على جهة الإجمال، أما على جهة التفصيل لا يمكن إدراك ما يليق بجلال الله ﷻ إلا بما جاء به النص وعلى هذا فهي توقيفية أي موقوفة على الكتاب والسنة الصحيحة ولا مجال فيها للاجتهاد.

- **القاعدة السادسة:**

أن أسماء الله وصفاته غير محصورة بعدد، لأن له الكمال المطلق، ولكن جاءنا بخبر القرآن والسنة عن أسماء الله وصفاته بما يناسب أحوالنا ومداركنا ولا يعني ذلك أن أسماء الله محصورة بما ورد وحتى ما ذكره النبي ﷺ في قوله: «**إن لله تسعة**

وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة»[(١)]، لا يعني ذلك الحصر إنما يعني ذلك ما يمكن أن يرد إلى مدارك عقول النَّاس وأن هذا العدد المذكور من أحصاه حفظا وفهما وعمل بمقتضاه دخل الجنة ولذلك فإن أسماء الله ﷻ لا حصر لها وكذلك صفاته وأفعاله لأنه موصوف بالكمال الذي لا ينتهي والدليل على عدم حصر أسماء الله الحسنى في هذا العدد ما رواه الإمام أحمد برقم (٣٧٠٤) عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي. إِلا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا**». قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلا نَتَعَلَّمُهَا؟ قَالَ: فَقَالَ: «**بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا**»[(٢)]، فقوله ﷺ: «**أو استأثرت به في علم الغيب عندك**» دليل على أن من أسماء الله تعالى الحسنى ما استأثر به في علم الغيب عنده، فلم يطلع عليه أحداً من خلقه وهذا يدل على أنها أكثر من تسعة وتسعين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذا الحديث: «**فهذا يدل على أن لله أسماءً فوق تسعة وتسعين**»[(٣)].

وقال أيضا الخطابي وغيره: فهذا يدل على أن له أسماء استأثر بها وذلك يدل

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٦) برقم (٢٦٧٧) عن ابي هريرة ﷺ.

(٢) صححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في السلسلة برقم (١٩٩).

(٣) الفتاوى (٦/ ٣٧٤).

على أن قوله: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة**» أن في أسمائه تسعة وتسعين من أحصاها دخل الجنة كما يقول القائل: (إن لي ألف درهم أعددتها للصدقة وإن كان ماله أكثر من ذلك والله في القران قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ فأمر أن يدعى بأسمائه الحسنى مطلقاً ولم يقل: ليست أسماؤه الحسنى إلا تسعة وتسعين) [1]، ونقل الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح صحيح مسلم اتفاق العلماء على ذلك فقال: (اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى، فليس معناه: انه ليس له أسماء غير هذه التسعة وتسعين، وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة وتسعين من أحصاها دخل الجنة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء) أهـ.

وأيضا فإن ما نص عليه النبي ﷺ في نصوص كثيرة منها قوله ﷺ في حديث الشفاعة حينما يدعو ربه يقول: (ادعوه بمحامد يلهمني الله إياها) فأسماء الله الحسنى ليست محصورة.

- **القاعدة السابعة:**

أن النفي لما نفاه الله تعالى عن ذاته في كتابه أو نفاه عنه عبده ورسوله في سنته الصحيحة ليس نفياً محضاً لان النفي المحض لا يتضمن كمالاً ولكنه نفي مع إثبات كمال الضد بمعنى في قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩]، ننفى عن ربنا الظلم نفياً يتضمن إثبات كمال الضد أي كمال العدل.

---

(١) الفتاوى: (٢٢/ ٤٨٢).

- **القاعدة الثامنة:**

أن باب الصفات أوسع من باب الأسماء فكل اسم من أسماء الله يشتق منه صفة لله ﷻ (فالعليم) يشتق منه صفة (العلم) و(الحكيم) يشتق منه صفة (الحكمة)، ولكن ليس كل صفة يؤخذ منها اسم لله ﷻ مثل (الكلام) صفة لله ﷻ ولكن الله سبحانه ليس من أسمائه (المتكلم) من اجل ذلك كان باب الصفات أوسع من باب الأسماء فالله سبحانه يوصف بصفات: كالكلام والإرادة والاستواء والنزول والضحك ولا يشتق له منها أسماء فلا يسمى المتكلم والمريد والمستوي والنازل والضاحك لأنها تدل في حال إطلاقها على ما يحمد الرب به ويمدح.

وفي المقابل هناك صفات ورد إطلاق الأسماء منها كالعلو والعلم والرحمة والقدرة لأنها في نفسها صفات مدح والأسماء الدالة عليها أسماء مدح فمن أسمائه: العلي والعليم والرحيم والقدير.

- **القاعدة التاسعة:**

أن باب الإخبار أوسع منهما، فما يدخل في باب الإخبار عنه سبحانه وتعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته كالشيء والموجود فإنه يخبر به عنه ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا فالنصوص جاءت بثلاثة أبوب هي (باب الأسماء) و(باب الصفات) و(باب الأخبار).

- **القاعدة العاشرة:**

الإيمان بأسماء الله تعالى يتضمن أموراً منها:

أولا: الإيمان بثبوت ذلك الاسم لله ﷻ.

ثانيا: الإيمان بما دل عليه الاسم من المعنى أي (الصفة).

ثالثا: الإيمان بما يتعلق به من الآثار والحكم والمقتضى.

هذه القاعدة سبقت ضمن القاعدة الرابعة ولكن هنا تفصيل بمثال للبيان، لو أخذنا اسم الله (السميع) فإننا نثبت الاسم أولاً ونثبت (السمع) صفة له ثانيا ثم نثبت ثالثا: الحكم أن الله يسمع السر والنجوى والأثر: هو وجوب خشية الله تعالى ومراقبته وخوفه والحياء منه ﷻ.

- **القاعدة الحادية عشر:**

أن القول في الصفات كالقول في الذات، فكما أن لله ذاتاً لا تشبه ذوات المخلوقين، فكذلك له صفات لا تشبه صفات المخلوقين، وإذا كان إثبات الذات لله ﷻ إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية هذا أصل عظيم مقنع لمن تدبره وفي الأثر الثابت عن الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه أن رجلا جاءه يسأل وهو في مجلس التحديث يحدث النَّاس في المسجد فقال: يا مالك ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ كيف استوى؟ فأطرق مالك وسكت ملياً ثم علته الرحضاء - العرق- ثم رفع رأسه وقال: أين السائل؟ فقال: الاستواء معلوم والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة وما أراك إلى رجل سوء ثم أمر أن يخرج من مجلسه).

تنبيه:

وليس معنى هذا نفي الكيفية عن صفات الله إنما المقصود نفي علم المخلوق بالكيفية، فالكيف في الأسماء والصفات غيب لا يعلمه إلا الله[1].

- **القاعدة الثانية عشر:**

أن القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر وهذه القاعدة اشتملت على:

١- أن من نفي بعض الصفات وأثبت البعض الأخر لزمه فيما أثبته نظير ما يلزمه فيما نفاه.

٢- أن عدم الدليل المعين لا يستلزم عدم المدلول المعين لأنه قد يكون ثبت بدليل آخر غير هذا الدليل.

٣- أن كل من أوّل صفة لزمه فيما أوله نظير ما ظن أنه يلزمه فيما مرّر منه.

٤- أن دلالة السمع والعقل على الصفات واحد:

أ - فإذا كان السمع دل على الصفات السبع فقد دل أيضا على غيرها ووجه الدلالة وقوة النص واحد.

---

(١) اللالكائي قي شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٤١) والبهيقي في الأسماء والصفات (ص: ٤٠٨) وصححه شيخ الإسلام والحافظ ابن حجر انظر: مختصر العلو: (ص١٤١) ومجموع الفتاوى (٥/ ٩٦٥) وفتح الباري (١٣/ ٥٠١).

ب - وإذا دل العقل على الصفات السبع فيمكن ان يدل العقل على غيرها مما ينفيه هؤلاء.

جـ - أنه يقال للأشعري نظير ما يقول هو للمعتزلي في مسألة الأسماء.

هذا الأصل يمكن أن يرد به على جميع النفاة:

١) الأشعري الذي يثبت بعض الصفات دون بعض.

٢) والمعتزلى الذي يثبت بعض الأسماء وينفي الصفات.

٣) والجهمي الذي ينفي الأسماء والصفات ولكن يقر بأن الله شيء وأنه موجود.

٤) والغلاة الذين يسلبون النقيضين.

وعند التطبيق:

إذا كان التجسيم لازما لبعض الصفات فهو لازما للصفات التي أثبتوها، وبالعكس أي إذا لم يكن التجسيم لازما للصفات التي أثبتوها فلا يلزم في الصفات التي نفيتموها وهكذا.

والنتيجة: إنكم إما أن تثبتوا جميع الصفات لأنها لا تستلزم التجسيم أو تنفوها كلها لاستلزامها التجسيم.

- **القاعدة الثالثة عشر:**

يجب الإيمان بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

هذه القاعدة تتضمن أمرين:

الأمر الأول:

وجوب الإيمان بما ورد في نصوص الكتاب والسنة من أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته. فإذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣]، نؤمن بأن من أسمائه سبحانه: العليم والحكيم وأنه موصوف بصفتي العلم والحكمة.

وإذا قال: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]، نؤمن بأن من أسمائه سبحانه: الغفور والرحيم وأنه موصوف بصفتي المغفرة والرحمة.

وإذا قال سبحانه: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، نؤمن بصفة اليدين ونثبتها له سبحانه وتعالى.

وإذا قال سبحانه: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال النبي ﷺ: «**أعوذ بالله العظيم ووجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم**» نؤمن بصفة الوجه ونثبتها لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله.

وهكذا في جميع ما ورد في الكتاب وصحيح السنة من أسماء وصفات وأفعال لله سبحانه وتعالى ونؤمن بها ونثبتها على ما يليق به سبحانه وتعالى.

الأمر الثاني:

أن يكون إيماننا بالأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

أولاً: التحريف:

صرف الكلام عن ظاهره الحقيقي بما لا يحتمله بلا دليل وينقسم إلى قسمين:

أ- تحريف لفظي:

كما بدلوا لفظة «الاستواء» فجعلوها «استولى» أو كمن جاءوا إلى قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، برفع لفظ الجلالة على أنه سبحانه هو الفاعل للكلام فجعلوه مفعولاً به منصوباً على أن المتكلم هو موسى عليه السلام.

فالتحريف اللفظي يكون بتغير حرف أو أكثر من الكلمة أو تغيير شكل بها.

ب- تحريف معنوي:

كمن جعلوا صفة «الرحمة» بمعنى: إرادة الثواب وجعلوا صفة «الغضب» بمعنى إرادة العقاب واليد بمعنى النعمة أو القوة.

فالتحريف المعنوي يكون بتعيير معنى الكلمة مع بقاء لفظها كما هو وكلا النوعين من التحريف باطل.

ثانيا: التعطيل:

معناه نفي الاسم أو الصفة أو نفيهما معاً **والمعطلة قسمان:**

أ- قسم غالٍ يعطلون الاسم والصفة معاً؛ فلا يثبتون لله سبحانه وتعالى اسماً ولا صفة؛ بل ينفون كل ذلك وهؤلاء هم «الجهمية».

ب- قسم يعطلون الصفة دون الاسم فيقولون: سميع بلا سمع وبصير بلا بصر، عليم بلا علم، حكيم بلا حكمة وهؤلاء هم المعتزلة.

وكلا النوعين من التعطيل باطل لا يجوز في حق الله سبحانه.

ثالثاً: التكييف:

التكييف له معنيان:

المعنى الأول: السؤال عن كيفية ذات الله أو صفاته كالرجل الذي جاء إلى الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ يسأله عن كيفية استواء الله على عرشه.

والمعنى الثاني: تخيل كيفية معينة في الذهن لذات الله تعالى أو لصفاته.

وكلا النوعين من التكييف باطل لا يجوز في حق الله ﷻ.

رابعاً: التمثيل:

فهو تمثيل ذات الله سبحانه وتعالى أو صفاته بذات أحد من خلقه أوصفاته، حيث يقول الممثل: يد الله كأيدينا وسمع الله كسمعنا وعلم الله كعلمنا وهكذا تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وهذا أيضا باطل لا يجوز في حق الله سبحانه وتعالى، قال الإمام نعيم بن حماد شيخ البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: (من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، فليس ما وصف الله به نفسه أو رسوله تشبيهاً)[1].

القاعدة الرابعة عشر:

صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين:

---

(١) سير اعلام النبلاء (١٠/ ٦١٠) وسنده صحيح.

الأول: صفات ذاتية:

وهي التي لا تنفك عن ذات الله تعالى ولا تتعلق بزمان؛ فالله تعالى لم يزل ولا يزال متصفا بها؛ كالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزة والحكمة والعلو والعظمة والوجه واليدين والعينين.

الثاني: صفات فعلية:

وهي أيضا صفات أزلية بمعنى: أن الله تعالى لم يزل ولا يزال متصفا بها؛ ولكن الفرق بينها وبين الصفات الذاتية أن الصفات الفعلية متعلقة بمشيئة الله تعالى؛ إن شاء فعلها وإن لم يشأ لم يفعلها ومتعلقة أيضا بزمان؛كالاستواء والنزول والمجيء والفرح والغضب.

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية؛ باعتبارين كيفية الكلام فإنها باعتبار أصلها هي صفة ذاتية، لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلماً، وباعتبار آحاد الكلام وتعلقه بالمشيئة يتكلم الله متى شاء فهنا صفة فعلية كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]، وهذا معنى قول أهل السنة: (كلام الله تعالى قديم النوع حادث الآحاد) فقد بيّن العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ هذا المعنى في شرحه على لمعة الاعتقاد فقال: ومعنى قديم النوع أن الله لم يزل ولا يزال متكلماً ليس الكلام حادثاً منه بعد أن لم يكن، ومعنى حادث الآحاد أن آحاد كلامه أي الكلام المعين المخصوص حادث لأنه متعلق بمشيئته متى شاء تكلم بما شاء كيف شاء) أهـ.

ومن هنا نعلم أن قولهم «حادث الآحاد» ليس معناه أن كلامه مخلوق

حادث، بل كما بين الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أن كلامه تعالى متعلق بمشيئته فإذا شاء تكلم واذا شاء لم يتكلم سبحانه كما قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فقد كلم الله موسى بكلام على ما يليق به جل وعلا، فتكليم الله تعالى لموسى لم يكن في الازل ولكن كان عندما خلق موسى وأوجده فهذا معنى حادث الآحاد قال تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج: ١٦]، والكلام من فعله سبحانه وتعالى وهذا يشمل ما كان قبل الخلق وبعده.

وروى البخاري في صحيحه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سأله سائل عن قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ و﴿عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ و﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ فكأنه كان ثم مضى فقال ابن عباس: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ سمى نفسه ذلك وذلك قوله، أي: لم يزل كذلك[1]، ومعلوم في اللغة العربية أن لفظة «كان» لا تدل دائماً على الماضي المنقطع بل تستخدم أيضاً لتدل على الاستمرار كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء: ١١]، فهل يعني ذلك انقطاعه عن الإنسان؟ وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الإسراء: ٥٣]، فهل انقطعت عداوة الشيطان للإنسان وكانت فقط في زمن معين؟

وأولى ما يتعين: المعنى فيه هو فيما إذا جاءت في أسماء الله وصفاته.

وقال محي الدين الدرويش رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان» في القران على خمسة أوجه:

١- بمعنى الأزل والأبد نحو: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٧].

٢- بمعنى الماضي المنقطع كقوله: ﴿ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴾ [النحل: ٤٨].

---

(١) البخاري: (٦/ ١٢٧).

٣- بمعنى الحال نحو ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠].

٤- بمعنى الاستقبال نحو ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

٥- بمعنى صار نحو: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤، ص: ٧٤][(١)].

ومن العلماء من يرون أن لفظة «كان» في مثل السياقات السابقة تكون مسلوبة الزمان وهي تدل على تحقيق ما جاءت في سياقه، قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ وقوله «كان» هذه فعل لكنها مسلوبة الزمان فالمراد بها: الدلالة على الوصف فقط أي: أن الله متصف بالسمع والبصر وإنما قلنا: إنها مسلوبة الزمان لأننا لو أبقيناها على دلالتها الزمانية لكان هذا الوصف قد انتهى وكان في الأول سميعاً بصيراً أما الآن فليس كذلك ومعلوم أن هذا المعنى فاسد باطل-وإنما المراد أنه متصف بهذين الوصفين «السمع» و«البصر» على الدوام و«كان» في مثل هذا السياق يراد بها التحقيق[(٢)].

القاعدة الخامسة عشر:

أن أسماء الله تعالى بالنظر إلى الذات من قبيل المترادف وبالنظر إلى الصفات من قبيل المتباين: فأسماء الله تعالى بالنظر إلى الذات من قبيل المترادف دلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الإسراء: ١١٠]. فجميع أسماء الله تعالى دلت على ذات واحدة وليست ذوات متعددة، فالله تعالى هو الرحمن وهو الرحيم وهو الملك وهو القدوس وهو السلام وهو المؤمن

(١) انظر: إعراب القرآن وبيانه (١٠/ ٣١٨).

(٢) مجموع فتاوي الشيخ العثيمين (٨/ ١٧٢).

إلى أخر أسمائه الحسنى سبحانه، وبالنظر إلى الصفات من قبيل المتباين دلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، أي: ادعوه في كل مقام بالاسم الذي يناسب فكل اسم يدل على معنى خاص به فإن كنت في حال فقر فقل «يا غني» وان كنت في حال ضعف فقل «يا قوي» وان كنت في حال ذل فقل «يا عزيز» وان كنت في حال توبة فقل «يا توّاب» وهكذا ادعو ربك وأسأله حاجتك بالاسم المناسب لحالتك. ومعلوم أن تعدد الأسماء والصفات يدل على عظم المسمى سبحانه وتعالى.

القاعدة السادسة عشر:

أن تفسير أسماء الله تعالى بعضها ببعض لا يعني تماثلها من كل وجه بل له سبحانه وتعالى في كل صفة معنى من معاني الكمال والجمال كاسم الله تعالى «الرحمن» واسمه «الرحيم» فالرحمن معناه: ذو الرحمة الواسعة والرحيم معناه: ذو الرحمة الواصلة.

وأسماؤه تعالى «الواحد» و«الأحد» و«الوتر» فهي أسماء متقاربة المعنى وقد يفسر كل منها بالآخر، ولكنه في الحقيقة كل اسم من هذه الأسماء يحمل معنىً مختلفاً عن الأخر؛ فالواحد ينفي عن الله تعالى المثلية، والوتر ينفي عن الله تعالى الشفعية والزوجية، والأحد ينفي عن الله تعالى الشبيه بالكلية.

كانت هذه جملة من أصول وقواعد أهل السنة في الأسماء والصفات مستخرجة من كتب أهل العلم كمجموع الفتاوى لشيخ الإسلام والرسالة التدمرية وشرح الطحاوية والقواعد المثلى للعلامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أسأل الله أن ينفع بها والله الهادي إلى سواء السبيل.

الوقفة السادسة:
التعريف ببعض الفرق الضالة والتحذير منها

اعلم أخي -رحمني الله وإيّاك- أن الحق واحد وأن الباطل متشعب قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [لأنعام: ١٥٣].

وأخرج الإمام احمد من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط النبي ﷺ خطاً بيده ثم قال: «**هذا سبيل الله مستقيما**» وخط على يمينه وشماله ثم قال: «**هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه**» ثم قرأ: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ**﴾[(١)].

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية: (أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والتفرقة وأخبرهم إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومة في دين الله) فالحق واحد والباطل متشعب ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى مبيناً اختلاف أصحاب الأهواء الذين ابتعدوا عن صراطه المستقيم وعن سبيله القويم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣] أي أننا أمام ثلاث أقوال: اليهود قالوا: ليست

---

(١) أخرجه أحمد في المسند والحاكم وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأخرجه النسائي في سننه وراجع تفسير أبن كثير للآية من سورة الأنعام.

النصارى على شيء، والنصارى قالوا ليست اليهود على شيء، وقال الذين لا يعلمون -وهم أهل مكة- مثل قولهم، لأنهم عندما ابتعدوا عن الصراط المستقيم تفرقت بهم السبل وتقاذفتهم أمواج الأهواء.

لذلك في الحديث الذي رواه أبو داود عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة** -وفي بعض الروايات-: **كلها في النار إلا واحدة هي الجماعة**». رواه احمد وأبو داود وأبن ماجة وفي بعضها: «**ما أنا عليه وأصحابي**» رواها الترمذي.

والجزء الخاص بالافتراق صح برواياته وبالنسبة لزيادة «**كلها في النار إلا واحدة**» اختلف العلماء في صحتها، وقد صحح الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ الزيادة في السلسلة الصحيحة (٢٠٣) والحديث عند أحمد (١٠٢/ ٥٠٤) وفيه لفظ الجماعة) والجماعة هم أهل السنة كما اخبر النبي ﷺ: «**ما أنا عليه وأصحابي**».

إن النبي ﷺ كلامه وقوله وفعله وحي معصوم يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾ [الحشر: ٧]، ويقول سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

ولهذا لم توجد في زمنه ﷺ فرق ضالة وإن وجدت بعض الأخطاء فقد أصلحها رسول الله ﷺ.

ومنها الثلاثة نفر الذين ترهبوا فقال أحدهم: أنا أصوم ولا أفطر، وقال الأخر: أنا أقوم ولا أرقد، وقال الثالث: أنا لا أتزوج النساء ويقصدون بذلك التعبد لله سبحانه وتعالى ولا شك أن هذه الفكرة من البدع ولهذا قال النبي ﷺ: «**أما أنا فأصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**» فترك الصحابة رضوان الله عليهم هذه الفكرة وهي فكرة الترهب.

وقد أستأذن بعض الصحابة رسول الله ﷺ في هذه البدعة وهي الترهب والاختصاء فرفض ﷺ ونهى عن ذلك.

فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: (رد رسول الله ﷺ على عثمان ين مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا)[1] والمقصود بالتبتل: الانقطاع عن النساء وترك النكاح انقطاعا إلى عبادة الله وأصل التبتل: القطع ومنه: (مريم البتول) و(فاطمة البتول) لانقطاعها عن نساء زمانها دينا وفضلا ورغبة في الآخرة

وقول: (لو أذن له لاختصينا) معناه: لو أذن له في الانقطاع عن النساء وغيرهن من ملاذ الدنيا لاختصينا لدفع شهوة النساء ليكن التبتل وهذا محمول على أنهم رضي الله عنهم كانوا يظنون جواز الاختصاء باجتهادهم ولم يكن ظنهم هذا موافقاً فنهى النبي ﷺ عن ذلك.

فائدة:

حكم الاختصاء: الاختصاء إما يتعلق بالآدمي وإما بالحيوان والحيوان إما أن يكون مأكولا أو غير مأكول، فيحرم في الآدمي صغيراً كان أو كبيراً وكذلك يحرم

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب النكاح (٣).

خصاء كل حيوان لا يؤكل وأما المأكول فيجوز خصاؤه في صغيره لمنفعة حاصلة في ذلك مثل تطييب اللحم أو قطع ضرر عنه ويحرم في كبيره كما قال النووي وأشار القرطبي إلى جواز خصي الحيوان الكبير عند إزالة القذر عنه.

وأيضاً ظهر في زمنه ﷺ النقاش في قضايا القدر بغير الوجه الشرعي فقد خرج رسول الله ﷺ على الصحابة وهم يتناقشون في القدر فغضب ﷺ وقال: «**أبهذا أمرتم؟ إنما هلك من كان قبلكم بكثرة اختلافهم على أنبيائهم**»[1] وهذا لفظ الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى أحمر وجهه حتى كأنما فقئ في وجنتيه الرمان فقال: «**أبهذا أمرتم؟ أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه**» لذلك عندما سأل رجل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: أخبرني عن القدر؟ قال: طريق مظلم لا تسلكه وأعاد السؤال فقال: بحر عميق لا تلجه وأعاد السؤال فقال: سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه)[2] والمعنى لا تخوض في القدر بغير علم والزم ما ورد في الوحيين وما خفي عليك فلا تفتش وفوض العلم لرب العالمين.

فالنبي نهاهم عن الطريقة التي تكلموا بها في موضوع القدر وهو أنهم يتقفرون كتاب الله ويضربون بعضه ببعض.

---

(١) والحديث رواه الترمذي في كتاب القدر برقم (٢١٣٣) وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي برقم (١٧٣٢).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي نقلا عن شرح السنة (٦٢) (ص ٢٧٨) دار الفكر.

والنتيجة:

أنه لم تظهر في زمن النبي ﷺ فرق ضالة لكن ظهر رجل أعترض على الرسول ﷺ في قسمته للغنائم في غزوة حنين فغضب عليه رسول الله ﷺ.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أتى رجل رسول الله ﷺ بالجعرانة منصرفة من حنين وفي ثوب بلال فضة ورسول الله ﷺ يقبض منها فقال: يا محمد! اعدل. فال: «**ويلك! ومن يعدل إذا لم أكن اعدل؟ لقد خبتُ أو لقد خبتَ**» وفي بعض الروايات: «**وخسرتَ -أو- خسرتُ إن لم أعدل**» فقال: عمر بن الخطاب دعني يا رسول الله أقتل هذا المنافق فقال: «**معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي ثم قال: إن هذا وأصحابه يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية**» وفي حديث آخر قال النبي ﷺ: «**إن من ضئضئ هذا قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد**».

تنبيه هام:

يخطئ كثير من الكتّاب والباحثين الذين ينسبون نشأة الفرق إلى الخلاف الذي وقع بعد وفاة الرسول ﷺ حول اختيار الخليفة في سقيفة بني ساعدة عندما اجتمع الأنصار ورشحوا أن يكون خليفة المسلمين سيد الخزرج «سعد بن عبادة» رضي الله عنه وجاء بعد ذلك المهاجرون وجاء أبو بكر الصديق وحسم الخلاف عندما ذكرهم بحديث عن رسول الله ﷺ نسوه وعن قول النبي ﷺ: «**الأئمة من قريش**» فأنقطع الخلاف ورجعوا إلى النص جميعاً واختاروا أبا بكر الصديق رضي الله عنه وقالوا: اختاره رسول الله ﷺ لأمر ديننا في الصلاة فنحن نختاره لأمر دنيانا.

والحقيقة أن هذا خلاف اجتهادي يعذر فيه الإنسان بالاجتهاد لأن الصحيح في مسالة الخلافة أن النبي لم يحدد خليفة بعينه وإن كان أشار في مرض موته ﷺ إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه لكنه لم ينص على أنه الخليفة من بعده لأنه لو نص على ذلك لما وقع هذا الاختلاف وهذا الاختلاف خاص بالاختلاف غير المذموم الذي يعذر فيه صاحبه وهو الذي عناه النبي ﷺ بقوله: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر**»[1] فبث المستشرقون وأذنابهم سمومهم فقالوا: إن الصحابة اختلفوا في هذه القضية وهي قضية الحكم إلى ثلاثة أحزاب: يمين ويسار ووسط ثم يقسمون كل حزب من هذه الأحزاب إلى متطرفين ومعتدلين ويصورون الصحابة رضي الله عنهم على أنهم أحزاب تتنافس على الحكم وهذا من أبطل الباطل فالقول بأن نشأت الفرق يعود إلى قضية الاختلاف بعد وفاة النبي ﷺ على اختيار الخليفة قول باطل.

وبعد اختيار الصديق كأول خليفة للمسلمين بعد وفاة النبي ﷺ استمر الصحابة رضي الله عنهم ينشرون العلم ويجاهدون في سبيل الله ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويربون الأمة على ذلك وانتشرت الفتوحات في كل مكان.

ولم تظهر في هذه الفترة المباركة شيء من البدع والانحرافات وإنما ظهر بعض من اختلق منهجاً منحرفاً، لكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حسم الموقف فهذا:

«صبيغ بن عسل» رجل كان يتتبع المتشابه من القران وكان يسأل عن ذلك وهو منهج منحرف فأن المتشابه من القران يجب أن يرد إلى المحكم فناداه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما ناداه وقد أعدّ له جريد النخل قال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الأقضية (١٧١٦).

صبيغ قال: وأنا عبد الله عمر فأخذ الجريد وضربه على رأسه حتى أدماه وسال الدم على وجهه ثم قال صبيغ لعمر دعني يا أمير المؤمنين فوالله لقد ذهب ما كنت أجد برأسي ثم أمر أن يكون في البصرة وكان من أهل البصرة وأمر أن يبقى فيها وألا يخرج منها وانقطعت هذا المشكلة، وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوياً على أهل الباطل وأهل الفسق وأهل البدع واستجاب «صبيغ بن عسل» ولم يخرج من البصرة واستقر بها فلما خرج الخوارج قالوا: هيا يا صبيغ! فقال لهم: نفعتني موعظة العبد الصالح ويقصد به عمر وموعظته هي الضرب الذي حصل منه.

نشأة الفرق:

نشأت الفرق الضالة بعد الفتنة التي نشأت بين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبين معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ممن جاء بعد الصحابة فلم تحدث الفرق الضالة بين الصاحبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهذا ما سوف نبينه:

فبعد مقتل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تولي عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخلافة بإجماع المسلمين واستمر على طريقة الشيخين طريقة الصحابة - رضوان الله عليهم- الذين يجاهدون في سبيل الله وينشرون العلم ويعلمون الناس.

فخرج رجل من اليمن يقال له: «عبد الله بن سبأ» وهذا الرجل يكنى بـ«ابن السوداء» وقد كان يهودياً ثم أعلن إسلامه وجاء إلى المدينة ثم انتقل إلى العراق وبلاد الشام ومصر وكان يؤلب الناس على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويجمع بعض الأكاذيب وبعض الأغاليط على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فاجتمع إليه من أطراف البلاد من بعض العراق وبعض الشام وبعض مصر مجموعة من الأعراب الجفاة ومجموعة ممن دمر الإسلام أديانهم فدخلوا في الإسلام تستراَ وخوفاً من السيف فلما اجتمعوا طالبوا

بمحاكمة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وطالبوا بعزله وجاءوا مجتمعين من الشام ومن مصر ومن العرق في قصة طويلة خلاصتها: أنهم جاءوا وقتلوا عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المدينة.

وقد أمر عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الصحابة بكف أيديهم ونصح لهؤلاء الجهّال دعاة الفتن فرجعوا ولكن الفئة الفاسدة التي كانت تحيك المؤامرة ضد المسلمين اجتمعوا وردوهم مرة أخرى فقام الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لقتالهم فمنعهم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: لا أريد أن يسفك دم بسببي فلما منعهم عثمان امتنعوا فقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولما قتلوا عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بايع الناس علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلما بايع الناس علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

اختلف الناس وانقسموا إلى ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى: طالبوا بقتلة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقالوا: لا بد من اخذ حق عثمان منهم قبل أن تكون الولاية لعلي بن أبي طالب وكان يمثل هذا الرأي: معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن معه من أهل الشام.

الطائفة الثانية: وهو رأي علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن معه قالوا: دعوا الناس يجتمعون فإذا اجتمعوا تتبعنا هؤلاء الناس الذين قتلوا عثمان فقتلناهم جميعاً لان الناس أختلط بعضهم ببعض.

الطائفة الثالثة: هم الذين أمسكوا عن الفتنة لما وقعت وتركوها.

هذا الخلاف الذي حدث ليس خلاف فرق وليس خلاف تفرق وإنما هو من الخلاف الاجتهادي الذي قال عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا حكم الحاكم وأجتهد فأصاب فله أجران وإذا أجتهد فأخطأ فله أجر**».

فحصلت الفتنة واقتتلوا في معركة الجمل وفي معركة صفين وطالب معاوية تحكيم القران الكريم ووافق علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على التحكيم **فعندها ظهرت الفرق الضالة فظهرت فرق ثلاثة هي:**

١- **الخوارج**: وهذه الفرقة خرجت من جيش علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما قبل تحكيم كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ وقالوا مقالة شنيعة وكبيرة قالوا: بكفر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأنه حكّم الرجال في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ وأرسل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لمناظرة الخوارج ورجع منهم من رجع وبقي منهم من بقي وقاتلهم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢- **الشيعة**: في مقابلة هذه الفرقة الضالة «الخوارج» ظهرت فرقة أخرى ردة فعل لهؤلاء وظهرت بسبب المؤامرة التي كانوا قد أنبثوا داخل صفوف المسلمين يتحينون الفرصة لإظهار الخلاف والشقاق بينهم فأظهر عبد الله بن سبأ عقائد متعددة انتسب إليها أشخاص سموا أنفسهم أو سموا بالشيعة بعد ذلك وهؤلاء كفروا معاوية ومن معه وكفروا الصديق وعمر وعثمان.

٣- **المرجئة**: فرقة ظهرت كردة فعل للفرقتين السابقتين فتوقفوا في الحكم وحكموا بإيمان الجميع وأرجأوا أمرهم إلى الله عَزَّ وَجَلَّ ثم ظهرت لهم أقوال مخالفة في باب الإيمان فأخرجوا العمل من مسمى الإيمان والإيمان عندهم هو تصديق القلب فقط واشتهرت عنهم هذه المقولة «لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة» ويرأس هذه الفرقة «الجهم بن صفوان» وهو من أهل الأهواء لم يجالس عالماً قط ولم يعرف بطلب العلم وإنما جالس أهل الأهواء وفي مقدمتهم الجعد بن درهم الذي ذبحة «خالد بن عبد الله القسري» لزندقته ونفيه صفات الله عَزَّ وَجَلَّ.

إذاً الخلاف الذي وقع في هذه الفترة بين الصحابة ﷺ ليس خلاف فرق ولم يظهر من هذا الخلاف فرقة ضالة ولا منحرفة من أصحاب النبي ﷺ إنما الذي حدث بينهم كان بتقدير الله لحكم أرادها الله قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

وإنما ظهرت الفرق الضالة والمنحرفة ممن جاء بعدهم استغلالاً للفتنة التي دارت بين الصحابة ﷺ.

أصل الخوارج:

في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال: يا رسول الله: اعدل قال رسول الله ﷺ: «**ويلك! ومن يعدل إن لم أعدل قد خبتُ أو خبتَ وخسرت إن لم أعدل**» فقال عمر ﷺ يا رسول الله ائذن فيه لي أضرب عنقه، قال رسول الله ﷺ: «**دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم وصيامه إلى صيامهم يقرئون القران لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نضيه فلا يوجد فيه شيء (وهو القدح) ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر يخرجون على حين فرقة من الناس**» ثم قال أبي سعيد الخدري ﷺ: (فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ وأشهد أن علي بن ابي طالب ﷺ قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فوجد، فأتى به، حتى نظرت إلى

نعت رسول الله ﷺ الذي نعته [١].

وفي الحديث أيضاً قال النبي ﷺ: «**يكون في أمتي فرقتان فيخرج من بينهما مارقة يلى قتلهم أولاهم بالحق**»[٢].

يستفاد من الحديث:

- أن هذه المارقة - الخوارج- يخرجون على حين فرقة وهذا ما وقع من الخوارج قي صفين.
- إن الذي يلي قتلهم أولى الطائفتين بالحق وهذا يدل على أن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه أحق الطائفتين.
- ومن خلال الأحاديث التي توضح صفات الخوارج يتضح لنا أن هذا الدين ليس مبنيا على الشدة وإنما هو مبني على الانضباط على السنة ولهذا يقول أبو الدرداء وأبو هريرة رضي الله عنهما: (اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة).

فهؤلاء حدثاء الأسنان خرجوا على أصحاب رسول الله ﷺ واعترضوا على عثمان وعلي بن أبي طالب واعترضوا على أئمة الصحابة رضوان الله عليهم وقالوا: أعطونا مثل عمر والصحابة ليس عندهم مثل عمر لأن عمر هو في المرتبة الثانية

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه باب: ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠١٦٤) النضي: السهم بلا نصل ولا ريش وهو السهم الذي كانوا يستقسمون به وهو القدح، قذذه: القذذ ريش السهم، سبق الفرث والدم: أي أن السهم قد جاوزها ولم يعلق فيه منهما شيء والفرث اسم مافي الكرش، مثل البضعه تدردر: البضعة القطعة من اللحم وتدردر أصله تتدردر معناه تضطرب وتذهب وتجيء.

(٢) أبو داود في السنن وخرّجه الإمام مسلم في باب: ذكر الخوارج وصفاتهم.

بعد أبي بكر الصديق فلما لم يجدوا عند الصحابة مثل عمر هل جاءوا بمثل عمر؟ لا فقد جاءوا برجل بوّال على عقبيه أعرابي جلف ليس عنده من العلم شيء يسمى «عبد الله بن وهب الراسبي» وقالوا: هذا أميرنا وأمّروا «عبد الله بن الكواء» على الصلاة، والصحابة -رضوان الله عليهم- موجودون وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أفضل الأمة في هذه الفترة وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبو هريرة كانوا موجودين وأئمة الصحابة -رضوان الله عليهم- تركوهم وكفروهم واتجهوا إلى «عبد الله بن وهب الراسبي» وهذا يدل على الضلال الموجود عند هؤلاء.

ولما افترقوا انحازوا، فلما انحازوا بدءوا يغيرون على سرح المسلمين وقتلوا عبد الله بن خباب بن الأرت رضي الله عنهما مر عليهم ومعه جارية فقالوا: حدثنا عن أبيك؟ فحدث بحديث في وجوب القعود في الفتن (وأن القاعد خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي خير من الساعي وأن تكون عبد الله المقتول خير من أن تكون عبد الله القاتل) فقتلوه وأخذوا جاريته وكانت حاملاً فبقروا بطنها ورموها في النهر وبدءوا يقتلون من يجدون من المسلمين ويكفرون المسلمين فناصحهم علي رضي الله عنه في بداية الأمر وعلمهم وأرشدهم ووجههم فلم ينتفعوا بذلك فأرسل إليهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قصة رائعة:

مناظرة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما للخوارج:

يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (لما اجتمعت الحروريّة وخرجوا على عليّ رضي الله عنه فجعل يأتيه الرجل فيقول: يا أمير المؤمنين إن القوم خارجون عليك قال: دعهم حتى يخرجوا فلما كان ذات يوم قلت: يا أمير المؤمنين: أبرد بالصلاة فلا تفتني حتى آتي القوم -يعني الخوارج- قال: فدخلت عليهم وهم قائلون، فإذا

هم مسهمة وجوههم من السهر قد أثر السجود في جباههم كأنّ أيديهم ثفن الإبل يعني: من كثرة الصلاة ولم يكن عندهم فرش فكانوا يعتمدون على أيديهم فأثرت في أيديهم عليهم قمص مرحّضة فقالوا: ما جاء بك يا ابن عباس؟ وما هذه الحلة عليك؟ كأنهم ينكرون تزين ابن عباس قال: قلت: ما تعيبون من ذلك؟

فلقد رأيت رسول الله ﷺ وعليه أحسن ما يكون من الثياب اليمنية قال: ثم قرأت هذه الآية: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٢]، فقالوا: ما جاء بك؟ قلت: جئت من عند أصحاب رسول الله ﷺ وليس فيكم منهم أحد، وجئتكم من عند أبن عم رسول الله ﷺ يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعليهم نزل القران وهم أعلم بتأويله، جئت لأبلغكم عنهم وأبلغهم عنكم فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشاً - كأن القضية قضية حزبية قبلية - فإن الله يقول: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف ٥٨].

- وهذا استدلال في غير مكانه فإن هذه الآية نزلت في الكفار المعاندين فأنزلها هذا الخارجي على أصحاب رسول الله ﷺ وعلى عبد الله بن عباس.
- فقال بعضهم: بلى فلنكلمه قال: فكلمني منهم رجلان أو ثلاثة قال: قلت: ماذا نقمتم عليه - يعني: على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه؟ قالوا: ثلاثة.

فقلت: ما هنّ؟ - انظروا كيف يكون أسلوب المناظرة والمناقشة فهذا أجمل مثال للمناقشة مع أهل البدع- قالوا: حكَّم الرّجال في أمر الله وقال الله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ﴾ [الأنعام: ٥٧]، قال: قلت: هذه واحدة وماذا أيضاً؟ قال: فإنه قاتل -يعني: أهل الشام- فلم يسب ولم يغنم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (أن الخوارج من ضيق أفهامهم كانوا يعتقدون لا يحصل القتال إلا مع الكفار مع أن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الحجرات: ٩]، فأمر بمقاتلة الباغية مع أنه وصفهم بأنهم مؤمنون).

يقول: فإنه قاتل فلم يسب ولم يغنم فلئن كانوا مؤمنين ما حل قتالهم -يعني: لا يجوز أن يقاتلهم ولئن كانوا كافرين لقد حل قتالهم وسبيهم قال: قلت: وماذا أيضاً؟ قالوا: ومحا نفسه من أمير المؤمنين فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.

قال: قلت: أرأيتم إن أتيتكم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ما ينقض قولكم هذا أترجعون؟ قالوا وما لنا لا نرجع؟ وهذا يدل على الصدق عندهم، لكن الصدق إذا لم يكن بعلم يكون صاحبه مارقا والعياذ بالله ويخرج من الدين كما يخرج السهم من الرمية.

قال: قلت: أما قولكم: حكّم الرّجال في أمر الله فإن الله قال في كتابه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ [المائدة: ٩٥] وقال في المرأة وزوجها: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ [النساء: ٣٥] فصير الله ذلك إلى حكم الرجال فنا شدتكم الله أتعلمون حكم الرجال من دماء المسلمين وفي إصلاح ذات بينهم أفضل أو في دم أرنب- يعني: أرنب قتله الحاج- ثمنه ربع درهم وفي بضع امرأة قالوا: بلى هذا أفضل يعني: تحكيم الرجال في دماء المسلمين أفضل. قال: أخرجتم من هذه؟ يعني: انتهيتم من هذه الحجة- قالوا: نعم. قال: وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم؟ أتسْبون أمكم عائشة يعني: حصل القتل في

موقعة الجمل أتسبون أمكم عائشة؟ فإن قلتم نسبها فنستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم وإن قلتم ليست بأمنا فقد كفرتم لأن الله قال: ﴿وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] فأنتم ترددون بين ضلالتين أخرجتم من هذه؟

قالوا: بلى.

قال: وأما قولكم: محا نفسه من إمرة المؤمنين فأنا أتيكم بمن ترضون: (إن نبي الله في يوم الحديبية حين صالح سهيل بن عمرو قال: رسول الله ﷺ: اكتب يا علي: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال سهيل بن عمرو: ما نعلم أنك رسول الله ولو نعلم انك رسول الله ما قاتلناك قال رسول الله ﷺ: اللهم انك تعلم أني رسولك يا علي: أكتب هذا ما أصطلح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو) قال: فرجع منهم ألفان وبقيت بقيتهم فخرجوا وقتلوا أجمعين.

هذه مناظرة عبد الله بن عباس رضي الله عنه لهذه الفرقة الضالة المنحرفة وهم الخوارج فلما ناظرهم أبن عباس وكلمهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقاموا يغيرون على سرح المسلمين واجتمعوا في مكان يسمى «النهروان» فخرج عليهم أصحاب النبي ﷺ وفرحوا بقتالهم لأن فيه تصديقاً لكلام النبي ﷺ فقتلوهم أجمعين ولم يبق إلا القليل منهم.

أراء الخوارج:

١- أنهم يكفرون الصحابة وعامة المسلمين.

٢- أنهم أنكروا شرط القرشية في الإمامة.

٣- أنهم كفّروا مرتكب الكبيرة ورتبوا على تكفيرهم لغيرهم الموالاة والمعاداة

وقسموا الناس إلى قسمين: دار الإسلام والمقصود به جماعتهم ودار الكفر والمقصود به بقية المسلمين وبقية الأرض جميعاً وهذا المبدأ مازال مستمراً مع الخوارج.

٤- خروجهم على السلطان المسلم القائم بأمر الله سبحانه وتعالى بغير وجه حق وتكفيره.

٥- التكفير بالطريقة العشوائية سمة من سماتهم لدرجة أنّ أحد القوّاد الذين قاتلوهم وهو: «المهلب بن أبي صفرة» كان إذا أراد تفريقهم -وكان هذا الرجل داهية- يأتي ويضع مسائل في أوراق ثم يربطها على السهام فيرميها حتى تنزل بساحتهم فإذا رأوا السهم تعجبوا أن فيه ورقة، ففتحوا هذا الأوراق فوجدوا مسائل فتناقشوا فاختلفوا فكفر بعضهم بعضاً فافترقوا وهكذا استطاع أن يمزقهم، فالتكفير العشوائي سمة من سماتهم وهو دليل على ضلالهم.

وسبب ضلال الخوارج عدم فهمهم لنصوص الكتاب والسنة.

وبعد أن قاتل علي رضي الله عنه الخوارج بقي البعض منهم وبقي فكرهم موجوداً.

فانقسموا إلى طوائف، ومن طوائفهم:

١- الأزارقة: أتباع نافع بن الأزرق الحنفي.

٢- النجدات: أتباع نجدة بن عامر الحنفي.

٣- الصفرية: ويسمون بذلك من كثرة العبادة صاروا صفر الوجوه.

ولم يبق من هؤلاء أحد.

ولم يبق من الخوارج إلا طائفتان:

١- الطائفة الأولى: الأباضية أو الإباضية.

٢- الطائفة الثانية: جماعات التكفير.

أما الإباضية: فهم أتباع «عبد الله بن أباض» وهم طائفة أقل غلوّاً من الخوارج الأوائل وأرادوا أن يتنصلوا من الانتساب إليهم وإن كانوا يقرون ببعض مقالاتهم وهم الآن موجودون ولم دولة في عمان ولهم جماعات موجودة في الجزائر وفي زنجبار وفي التاريخ الإسلامي وجدت لهم دول في شمال أفريقيا وفقيه عمان «أحمد الخليلي» يمثل منهج الإباضية وألف كتاباً أسماه «الحق الدامغ» وهذا الكتاب بناه على ثلاث مسائل:

١- الفاسق هو مرتكب الكبيرة مخلد في النار يوم القيامة بينما في الدنيا يمكن أن يطلق عليه كافر ولكنهم لا يرتبون عليه أحكام الكفر في الدنيا أما في الأخرة فقد وافقوا الخوارج الأوائل والمعتزلة بأنه مخلد في النار.

٢- أنكروا الشفاعة يوم القيامة، أي أنكروا الشفاعة في أهل الكبائر لأنهم عندهم مخلدون في النار أما بالنسبة للشفاعة العظمى العامة وهي المقام المحمود فلا ينكرونها.

٣- في صفات الله على مذهب المعتزلة يقولون: إن الصفات هي الذات وهذا في الحقيقة إنكار للصفات ولهذا يوافقون المعتزلة في معنى الاستواء أنه بمعنى: استولى، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

٤- ينكرون رؤية الله يوم القيامة ويؤوّلون قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] يقولون: أن (ناظرة) هنا بمعنى منتظرة وأن الناس لا يرون الله ﷻ يوم القيامة بأعينهم.

٥- يقولون بخلق القران وبعضهم يوافق الأشاعرة في قولهم: أنه قديم.

٦- وفي مسائل القدر على مذهب الأشاعرة يقولون بالجبر.

٧- ينكرون شرط القرشية في الإمامة.

وعلى هذا فإن الإباضية فرقة ضالة منحرفة عن منهج أهل الحق.

وأما الطائفة الثانية: جماعات التكفير:

أول ما نشأت في مصر على يد «شكري مصطفى» وكفّروا الناس، فهم يكفرون الحاكم بغير ما أنزل الله دون تفصيل، وبنوا ذلك على قاعدة: «من لم يكفر الكافر فهو كافر» والحقيقة أن معنى هذه القاعدة الحقيقي: أن من لم يكفر الكافر الأصلي فهو كافر، لكن الذي يحكم بغير ما أنزل الله ولم يتضح عند كثير من المسلمين كفره فلا يجوز تكفيره لأن تكفير المعين من المسلمين لا يكون إلا بعد توافر الشروط وانتفاء الموانع وإقامة الحجة لأنه حكم شرعي فلا يخضع للأهواء ولكن لا بد من الدليل الشرعي فالإسراع في تكفير المعين بلا ضوابط فيه إسراف ومخالفة لنصوص الشرع فإن التأول باب معروف من أبواب العذر ولهذا لم يكفر «حاطب بن أبي بلتعة» رضي الله عنه مع انه وقع فيما ظاهره كفر لوجود التأول الذي كان لديه وهو أنه محب لله ومحب للرسول ومن أهل بدر.

فهؤلاء كفروا عموم المسلمين وجعلوا الدنيا جميعاً دار حرب إلا مجموعتهم.

وجماعات التكفير ليسوا على مستوى واحد في التكفير فبعضهم يكفر المسلمين جميعاً، وبعضهم يرى أن الأصل في المسلمين الكفر حتى يتبين عنده أنه مسلم ولهذا بعضهم لجأ إلى العزلة وهجر المساجد وهذه عقيدة باطلة لأن ثبوت الإسلام للإنسان يثبت بقوله: لا إله إلا الله محمد رسول الله وباستمراره على العمل فإذا شهد أن لا إله إلا الله وشهد أن محمداً رسول الله وصلّى مع المسلمين وأكل ذبيحتهم واستقبل قبلتهم فهذا حاله أنه مسلم حتى يتبين كفره بالدليل القاطع، فالذي ينبغي التبيين فيه: أن لا ينقل المسلم من دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر إلا بيقين لأن الإسلام ثبت له بيقين فلا يجوز أن ينقل عنه إلا بيقين، فعلى الإنسان أن ينضبط في هذا الباب ويكون أشد حذراً في مسائل التكفير وكما يقولون: «الخطأ في العفو خير من الخطأ في العقوبة» وهذا لا يعني أن الكافر الذي وقع في الكفر الحقيقي بضوابطه لا يكفر.

وعلى هذا فينبغي أن نفهم في مسائل التكفير أن التكفير ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: كفر النوع وهو أقسام:

أ- كفر القول: وهو أن يقال هذا القول كفر مثل سب الله تعالى وسب الرسول.

ب- كفر العمل: مثل الطواف حول القبور والذبح لها والنذر لغير الله وسن القوانين الوضعية ونحو ذلك.

جـ - كفر الإرادة: مثل محبة غير الله، أو الخوف من غير الله أو تولي الكافرين وإعانتهم على المؤمنين هذا يسمى عند العلماء (كفر النوع) وهو مجمع عليه عند العلماء إلا في مسائل يسيرة ومحددة اختلفوا فيها.

القسم الثاني: هو تكفير المعيّن:

كأن يقال فلان بن فلان أو خالد أو علي أو أي شخص من الأشخاص كافر، وهذا لا يصح أن يكفر إلا إذا توافرت فيه شروط الكفر وانتفت عنه الموانع والشروط هي: العلم والقصد والاختيار والتأويل والموانع نقيضها، فلا يجوز أن يكفر هكذا باطلاق لأن الجهل قد يكون مانعاً في بعض الأحيان وقد لا يكون مانعاً في حين آخر والتأول منه ما يكون مانعاً وكذلك الإكراه لذا ينبغي الرجوع للعلماء الثقات أهل الحل والعقد في هذه المسائل.

والله الموفق للصواب.

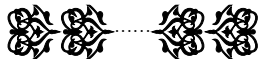

الوقفة السابعة:
الرد على شبهات أهل البدع

تمهيد:

أعلم أخي -رحمني الله وإيّاك- أنه قد ثبت عن النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو ردٌّ**»[(١)] وفي حديث آخر عند الترمذي وأحمد من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه وفيه قال النبي ﷺ: «...**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديّين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة**»[(٢)].

وفي هذين الحديثين تحذير شديد من إحداث البدع والعمل بها:

فصاحب البدعة أحبّ إلى إبليس من صاحب المعصية لأن العاصي يتوب وصاحب البدعة يجيء ويدعو إليها ويعتقد حلّها ومهما اجتهد هذا وزاد في اجتهاده أزداد من الله بعداً.

- قال إبراهيم بن ميسرة: (من وقّر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام)[(٣)].

---

(١) البخاري (٢٥٥٠) ومسلم (١٧١٨) وأبو داود (٤٦٠٦) وأبن ماجة (١٤) وأحمد (٦/ ٢٧٠).
(٢) الترمذي كتاب العلم (٢٦٧٦) وأبن ماجة (٤٢) وأحمد (٤/ ١٢٦) والدارمي (٩٥) وخرجه القاضي عياض في الشفاء عن العرباض بن سارية وزاد فيه: (وكل ضلالة في النار).
(٣) شرح أصول الاعتقاد للإمام اللالكائي برقم (٢٧٣) ١٥٧١١١).

- وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: (من أحب صاحب بدعة فقد أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه)

- وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: (سنّ رسول الله ﷺ وخلفاؤه من بعده سنناً الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستعمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تغيير فيها ولا النظر في رأي يخالفها، من اقتدى بها فهو مهتد، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولّاه الله ما تولّى، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً) فالبدع مبعدة عن الله تعالى مقربة من الشيطان، مفرّقة لصفوف المسلمين، محبطة للأعمال، وما رؤى الشيطان أفرح ولا أغبط منه بصاحب البدعة، لأن المبتدع يرى أنه على صواب وأن غيره على خطأ).

- قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: (من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، زعم أن محمداً ﷺ خان الرّسالة لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً)[1].

بعد هذا التمهيد حول خطورة البدع إليك شبهات أهل البدع والرد عليها:

شبهات أهل البدع والرد عليها:

يستدل أهل البدع على مشروعية بدعهم بجملة من الأدلة من كتاب الله تعالى ومن سنة رسول الله ﷺ وآثار الصحابة والتابعين لم يفهموها فهما صحيحاً ولم يحسنوا الاستدلال بها وإليك تلك الأدلّة ثمّ الردّ عليها بفضل الله تعالى ومنّته:

---

(١) الاعتصام (١/ ٦٥: ٦٤).

الشبهة الأولى:

استدل أهل البدع على مشروعية بدعهم بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧].

ردُّ الشبهة:

بداية لكي يستقيم الفهم لا بد من أمرين:

الأول: صحة الدليل. الثاني صحة الاستدلال.

فآفة الكثيرين من قليلي العلم أنهم يستدلون بالأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة غير أنهم لا يحسنون الاستدلال والتنزيل لها على الحالة أو الواقع فيكون الخلل والخلط وهذا ما وقع فيه أهل البدع باستدلالهم بهذه الآية الكريمة فهم لم يفهموها ووضعوها في غير موضعها وإليك الفهم الصحيح للآية والذي يردّ على أهل البدع بدعهم لأنّ الآية وردت في سياق الذم لا في سياق المدح.

- يقول الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره لهذه الآية: (يخبر تعالى أنّه منذ بعث نوحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ، لم يرسل بعده رسولاً ولا نبياً إلا من ذرّيّته، وكذلك إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ خليل الرحمن، لم يرسل رسولا إلّا وهو من سلالته، كما قال تعالى في الآية الأخرى ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ﴾ حتى كان آخر أنبياء بني إسرائيل «عيسى ابن مريم» الذي بشر من بعده بمحمد صلوات الله وسلامه عليهما ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ وهو

الكتاب الذي أوحاه الله إليه ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ وهم الحواريون، ﴿رَأْفَةً﴾ أي رقة وهي الخشية، ﴿وَرَحْمَةً﴾ بالخلق، وقوله ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ أي أبتدعها أمّة النصارى، ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي ما شرعناها وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنهم قصدوا بذلك رضوان الله، قاله سعيد بن جبير وقتادة.

والآخر: ما كتبنا عليهم ذلك إنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ أي فما قاموا بما التزموه حق القيام، وهذا ذم لهم من وجهين:

احدهما: الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله.

الثاني: في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربة تقربهم إلى الله ﷻ وقد روى ابن أبي حاتم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا ابن مسعود**» قلت لبيك يا رسول الله قال: «هل علمت أن بني إسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة؟ لم ينج منها إلا ثلاثة فرق قامت بين الملوك والجبابرة بعد عيسى ابن مريم فقاتلت الجبابرة فقتلت فصبرت ونجت، ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال فقامت بين الملوك والجبابرة فدعوا إلى دين الله ودين عيسى بن مريم فقتلت وقطعت بالمناشير وحرقت بالنيران فصبرت ونجت ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة ولم تطق القيام بالقسط فلحقت بالجبال فتعبّدت وترهبّت وهم الذين ذكر الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾[1].

---

(١) أخرجه أبن أبي حاتم ورواه أبن جرير بطري أخر ولفظ آخر.

- روى الإمام أحمد عن إياس بن مالك أنّ النّبي ﷺ قال: «**لكل نبي رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله**» وفي رواية: «**لكل أمة رهبانية، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله**»(١).

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً جاءه فقال: أوصني فقال: سألت عما سألت عنه رسول الله ﷺ من قبلك، أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء وعليك بالجهاد فإنّه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القران، فإنّه روحك في السماء وذكرك في الأرض (٢).

- قال أهل اللغة في قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ هذا استثناء منقطع ومعنى الاستثناء المنقطع: أنه لا يوجد تعلق بين الذي بعد(إلا) والذي قبله ومعنى(إلا) في هذه الحالة (لكن) كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠] والمعنى: لكن إبليس لم يكن من الملائكة وكان من الجن وكان مأموراً بالسجود ففسق عن أمر ربه ولم يسجد.

والمعنى الصحيح للآية: ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم وما ألزمناهم بها لكن أمرناهم وألزمناهم بابتغاء رضوان الله.

وبعد هذا التوضيح فنقول للقوم تنزلاً: كان هذا شأن بني إسرائيل وهو شرع من قبلنا والنبي ﷺ لم يقر لنا الرهبانية الواردة عند القوم في ظل الإسلام بل تتضافر النصوص على منع الرهبانية من ذلك:

---

(١) أخرجه أحمد والحافظ أبو يعلى.

(٢) أخرجه الإمام أحمد: (١١٧٩١) تفسير أبن كثير سورة الحديد: (ص٢٧).

- ما رواه الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها أنّ النّبيّ ﷺ قال لعثمان بن مظعون: «**يا عثمان إن الرهبانية لم تكتب علينا أمالك فيّ أسوة؟ فوالله إنّي أخشاكم لله وأحفظكم لحدوده**»، وهذا يؤكد لنا رفض الإسلام للرهبانية إذ تتضمن عدة عناصر أساسية كلها يرفضها الإسلام وهذه العناصر هي:

١- الانقطاع الكامل للتعبد.

٢- الامتناع الدائم عن الزواج.

٣- الإعراض عن عمارة الأرض، والعمل للدنيا والمعيشة.

والإسلام يرفض هذه المعاني لأنه يقوم على فكرة التوازن بين الروحيّة والماديّة وبين الدنيا والآخرة وبين حقّ الرّب جل جلاله وحفظ النّفس وبين المثالية والواقعية وقد تضافرت النّصوص في القرآن والسّنّة على تأكيد ذلك والله الموفّق.

الشبهة الثانية: فهم الحديث:

«**من سنّ في الإسلام سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**»[1].

(١) أخرجه مسلم: (١٠١٧).

الرد على هذه الشبهة:

أولاً: معنى (من سنّ)، أي: سنّ العمل تنفيذا وليس سنّ العمل تشريعاً، فالمراد بالحديث العمل بما ثبت من السنّة النبوية.

ويدل لذلك السبب الذي لأجله جاء الحديث وهو الصدقة المشروعة وإليك تمام الحديث: عن أبي عمرو جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كنّا في صدر النّهار عند رسول الله ﷺ فجاءه قوم عراة مجتابي النّمار أو العباء متقلدي السيوف عامّتهم من مضر بل كلهم من مضر، فتمعّر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذّن وأقام، فصلى ثم خطب فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، والآية التي في الحشر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨]، «**تصدّق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع برّه، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشق تمرة**».

قال: فجاء رجل من الأنصار بصرّةٍ كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت قال: ثمّ تتابع النّاس حتّى رأيت كومين من طعام وثياب حتّى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلّل كأنّه مذهبة، فقال رسول الله ﷺ: «**من سنّ في الإسلام سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**»[1] فهذا الأنصاري الذي جاء بالصدقة جاء بها تنفيذاً لحثّ النّبيّ لهم

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم (١٠١٧).

على الصدقة فكان هو الذي بدأ بتنفيذ السنّة فتبعه القوم، فلأنّه البادئ أخذ أجورهم لأنّه سنّ هذه السنّة الحسنة أي سنّ العمل تنفيذاً لحثّ رسول الله ﷺ ولم يخالف السنّة ولم يبتدع فالحديث حجة على أهل البدع وليس حجة لهم.

ثم إنّ الذي قال: (من سنّ في الإسلام سنّة حسنة) هو الذي قال: (كل بدعة ضلالة) ولا يمكن أن يصدر عن الصادق المصدوق ﷺ قول يكذّب له قولاً آخر ولا يمكن أن يتناقض كلام رسول الله ﷺ أبداً[١].

ثمّ إنّ النّبيّ ﷺ قال: (من سنّ) ولم يقل (من ابتدع) وقال: (في الإسلام) والبدع ليست من الإسلام وقال: (حسنة) والبدعة ليست بحسنة[٢].

ولا يخفى الفرق بين السنّة والبدعة، فإنّ السنّة هي الطريق المتبع، والبدعة هي الإحداث في الدين، كما أنه لم ينقل عن أحد من السلف أنّه فسّر السنّة الحسنة بالبدعة التي يحدثها النّاس من عند أنفسهم.

وأيضاً فإن معنى: (من سنّ) أي: من أحيا سنّة كانت موجودة، فعدمت، فأحياها وعلى هذا فيكون (السّنّ)إضافياً نسبياً لمن أحيا سنّة بعد أن تركت.

ويدل له حديث: (من أحيا سنّة من سنني فعمل بها النّاس، كان له مثل أجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيئا، ومن ابتدع بدعة فعمل بها، كان عليه أوزار من عمل بها لا ينقص من أوزار من عمل بها شيئا) [٣].

---

(١) راجع: الإبداع في كمال الشرح وخطر الابتداع للعلامة أبن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ (ص١٩).
(٢) المصدر السابق (ص: ٢٠).
(٣) سنن أبن ماجة ح (٢٠٩) وصححه الشيخ الألباني.

الخـلاصة:

أنّ الحديث حجة على أهل البدع وليس حجة لهم.

الشبهة الثالثة:

جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق فزعموا أن جمع القرآن لم يحدث في عهد النّبيّ ﷺ وفعله أبو بكر رضي الله عنه.

الردّ على هذه الشبهة:

بداية من خلال الروايات الواردة في قضية جمع القران يتضح أنّ مراحل الجمع ثلاث:

الأولى: بحضرة النّبيّ ﷺ حفظاً وكتابة حيث حفظ في الصدور، وكُتب على السطور في قراطيس وألواح من الرقاع والعسف واللخاف والأكتاف وغيرها.

أخرج الحاكم بسند صحيح على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: (كنّا عند رسول الله ﷺ نؤلف أي نكتب القران من الرقاع).

الثانية: على عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه بإنتساخه من العسب والرقاع وصدور الرجال وجعله في مصحف واحد.

الثالثة: ترتيب السور على عهد عثمان بن عفان وحمل الناس على قراءة واحدة وكتب منه عدة مصاحف أرسلها إلى الأمصار وأحرق باقي المصاحف.

إذن الذي فعله الصديق أنه جمعه في مصحف واحد وكان مجموعاً في عهد النّبي ﷺ في الرقاع وفي صدور الرجال وبعد استشهاد الكثير من القرّاء وحملة

القرآن في الصدور شرح الله صدر أبي بكر الصديق لجمعه في مصحف واحد وهذا من حفظ الله تعالى لكتابه قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجرات: ٩].

فالصّدّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يحدث ولم يبتدع ثمّ إنّ أبا بكر الصديق أحد الخلفاء الراشدين المتبعة سننهم يقول النّبيّ ﷺ: «**عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديّين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ...**»[1].

الشبهة الرابعة:

فهمهم لقول الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (نعم البدعة هذه) عندما جمع المسلمين على إمام واحد في صلاة التراويح في رمضان.

الردّ على هذه الشبهة:

بداية لو تنزلنا مع القوم وقلنا بصحة ما ذهبوا إليه -مع أن هذا لا يسلم- فإنه لا يجوز أن يعارض كلام رسول الله ﷺ بكلام أحد من النّاس كائنا من كان، لا بكلام أبي بكر الذي هو أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ ولا بكلام عمر الذي هو ثاني هذه الأمة بعد نبيها ﷺ ولا بكلام غيرهما.

- قال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ وتقولون قال أبو بكر وعمر).

---

(١) الترمذي باب العلم (٢٦٧٦) وأبن ماجة المقدمة (٤٢) هو من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: (لا رأي لأحد مع سنّة سنّها رسول الله ﷺ)[١].

- قال الشافعي: (أجمع المسلمون على أنّ من استبان له سنّة رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد)[٢].

- ثم إنّ عمر رضي الله عنه قال هذه الكلمة عندما جمع النّاس في صلاة التراويح، وصلاة التراويح ليست ببدعة، بل هي عين السنّة، بدليل ما روته أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله ﷺ صلى ذات ليلة في المسجد، فصلى بصلاته ناس، ثمّ صلّى في القابلة فكثر النّاس، ثمّ اجتمعوا من الليلة الثالثة، أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ فلما أصبح قال: «**قد رأيت الذي صنعتم، ولم يمنعني من الخروج إليكم إلا أنّي خشيت أن تفرض عليكم**» وذلك في رمضان[٣].

فنصّ رسول الله ﷺ على العلّة التي من أجلها ترك الجماعة في صلاة التراويح، فلمّا رأى عمر أنّ العلّة قد زالت، أعاد صلاة التراويح جماعة، فالذي فعله عمر إذاً كان أصلاً من فعل رسول الله ﷺ.

فإذا تبين لنا أنّ ما فعله عمر رضي الله عنه ليس ببدعة فما معنى البدعة في كلامه؟

إنّ البدعة في قول عمر رضي الله عنه قصد بها المعنى اللغوي لا المعنى الشرعي.

---

(١) إعلام الموقعين (٢/ ٢٨٢).

(٢) إعلام الموقعين (٢/ ٢٨٢).

(٣) أخرجه البخاري (١١٢٩).

والبدعة في اللغة: ما فعل على غير مثال سابق فلمّا كانت هذه الصلاة لم تفعل في عهد أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولا في أول عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانت بدعة من حيث اللغة أي ليس لها مثال سابق.

أما من حيث الشرع فلا لأنّ لها أصلاً من فعل رسول الله ﷺ.

قال الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

فمن سمّاها بدعة، بهذا الاعتبار فلا مشاحّة في الأسامي، وعند ذلك لا يجوز أن يستدل بها على جواز الابتداع بالمعنى المتكلم فيه، لأنّه نوع من تحريف الكلم عن موضعه(١).

- قول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (أكثر ما في هذا تسمية عمر تلك بدعة، مع حسنها، وهذه تسمية لغوية، لا تسمية شرعية وذلك أنّ البدعة في اللغة تعمّ كل ما فعل ابتداء من غير مثال سابق، أما البدعة الشرعية: كل ما لم يدل عليه دليل شرعي)(٢).

ثم إنّ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الخلفاء الراشدين وسننهم متّبعة ولا يمكن لعمر أن يخالف هدي النّبيّ ﷺ.

---

(١) الاعتصام (١/ ٢٥٠).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (ص: ٢٧٦).

الشبهة الخامسة:

إحداث عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للأذان الثاني أو الثالث على اعتبار الإقامة أذان يوم الجمعة ولم يحدث هذا في عهد النّبيّ ﷺ.

الردّ على هذه الشبهة:

أفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بقولها:

ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديّين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ...**» الحديث والنداء يوم الجمعة كان أوله حين يجلس الإمام على المنبر في عهد النّبيّ ﷺ وأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فلما كانت خلافة عثمان وكثر النّاس أمر عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الجمعة بالأذان الأول، وليس ببدعة لما سبق من الأمر باتباع سنة الخلفاء الراشدين، والأصل في ذلك ما رواه البخاري والنسائي والترمذي وابن ماجة وأبو داود واللفظ له: (عن ابن شهاب أخبرني السائب بن يزيد أنّ الأذان كان أوله حين يجلس الإمام على المنبر يوم الجمعة في عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فلما كان خلافة عثمان وكثر النّاس أمر عثمان يوم الجمعة بالأذان الثالث فأذّن به على الزّوراء فثبت الأمر على ذلك)[1].

وقد علّق القسطلاني في شرحه للبخاري على هذا الحديث بأنّ النّداء الذي زاده عثمان هو عند دخول الوقت سمّاه ثالثاً باعتبار كونه فريداً على الأذان بين يدى الإمام والإقامة للصلاة وأطلق على الإقامة أذان تغليباً بجامع الإعلام فيهما وكان هذا الأذان لما كثر المسلمون فزاده عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اجتهاداً منه ووافقه الصحابة

(١) البخاري في الجمعة (١٣٩٢) وأبو داود في الصلاة (١٠٨٧) واللفظ له.

جميعاً بالسكوت وعدم الإنكار فصار إجماعاً سكوتياً.

ومن الملاحظ أنّ عثمان سنّ هذا النّداء الأوّل على دار له في السوق يقال له الزوراء تنبيهاً للناس على قرب صلاة الجمعة للاستعداد للذهاب إليها ومعنى ذلك أنّه كان قبل النّداء والخطيب على المنبر بوقت كافي لاستعداد النّاس للصلاة وذهابهم إلى المسجد فإذا دخل الوقت صعد الإمام المنبر فجلس فقام المؤذن يؤذن. والله الموفق.

الشبهة السادسة: فهمهم لأثر: (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن).

الردّ على هذه الشبهة:

بداية هذا الأثر من كلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وإليك نصه:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (إنّ الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيّه يقاتلون على دينه فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيئ) [1].

وأنّ (ال) في قوله (المسلمون) للعهد وهو راجع إلى الصحابة فهم المقصودون هنا كما يدل له سياق الأثر وقد جاء في بعض الروايات زيادة: (وقد رأى الصحابة أن يستخلفوا أبا بكر) [2].

---

(١) رواه أحمد (٨/ ٣٤) وحسنه الشيخ الألباني في تخريج الطحاوية (٥٣٠).

(٢) المستدرك (٣/ ٧٨).

ففي هذا دلالة واضحة على أنّ المراد بالمسلمين في الأثر الصحابة.

فإذا كان الأمر كذلك فقد علم أنّ الصحابة رضي الله عنهم مجمعون على ذمّ البدع بل وتقبيحها ولم يرو عن واحد منهم تحسين شيء من البدع.

ثم أنّه على القول بأنّ (ال) في قوله (المسلمون) ليست للعهد، وإنما هي للاستغراق يكون المراد به الإجماع، والإجماع حجة.

قال العز بن عبد السلام إن صح الحديث فالمراد بالمسلمين أهل الإجماع: والله أعلم)[1].

وقد انعقد الإجماع في القرون الأولى على أنّ كلّ بدعة ضلالة ولا زال الأمر كذلك ولله الحمد.

ثم كيف يستدل لكلام الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهو من أشدّ الصحابة نهياً عن البدع وتحذيراً منها.

فهو القائل: (اتّبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم وكلّ بدعة ضلالة) [2]، وكلامه رضي الله عنه في النّهي عن البدع كثير جداً.

الشبهة السابعة:

استدلال أهل البدع بهذا الحديث الذي رواه أنس رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ إلى صلاة فجاء رجل بعد ما قام النّبيّ ﷺ فأسرع المشي فانتهى إلى القوم وقد

(١) فتاوى العز بن عبد السلام (ص: ٤٢) رقم: (٩).
(٢) أبن بطة في الإبانة (٢/ ١٧٥) (١/ ٣٢٧).

انبهر أو حفزه النّفس فقال حين انتهى إلى الصف: الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه فلما قضى النّبيّ ﷺ قال: «**من المتكلّم؟ أو من القائل الكلمات؟: فسكت القوم فقال مثلها فقال: من هو؟ فإنّه لم يقل بأساً أو قال خيراً**» قال الرّجل: جئت يا رسول الله فأسرعت المشي فانتهيت إلى الصفّ وقد انبهرت أو حفزني النّفس فقلت الذي قلت. فقال: «**لقد رأيت اثني عشر ملكاً يبتدرونها أيهم يرفعها إليه**» ثم قال: «**إذا جاء أحدكم إلى الصلاة فليمشِ على هيئته فيصلي ما أدرك وليقض ما سبق به**»[1].

الردّ على الشبهة:

الحديث فيه دليل على اتّباع السنّة وليس فيه مطلقاً تحسين البدعة فالحجّة في هذا الحديث ليس في قول الرجل ولكنّ الحجّة في إقرار النّبيّ له على قوله فهذا الحديث من السنّة التقريرية فالسنّة إمّا أن تكون قوليّة ويقصد بها كلام النّبيّ ﷺ في أحاديثه كقوله: (إنّما الأعمال بالنّيّات...) الحديث.

- وإمّا أن تكون فعليّة ويقصد بها أفعال النّبيّ ﷺ كقوله: (صلوا كما رأيتموني أصلي).

- وإمّا أن تكون تقريرية ومعناها أن يتكلم الصحابي بقول ما أو يفعل فعلاً ما ويصل أمره إلى النّبيّ ﷺ فيسكت تعبيراً للرضا عن القول أو الفعل أو يصرح بإقراره له فتكون الحجّة في تقرير النّبيّ ﷺ لا في قول الصحابي أو فعله والله أعلم.

---

(١) سنن النسائي (٩٠١) في كتاب الافتتاح وأخرجه البخاري في صحيحه والترمذي في السنن.

بعد هذا العرض لبعض شبهات القوم والردّ عليها إليك نماذج من البدع للتحذير منها:

أولاً: حكم الاحتفال بالمولد النبويّ:

أجاب العلّامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ على هذه المسألة فقال:

أولاً: ليلة مولد الرسول ﷺ ليست معلومة على الوجه القطعي بل إنّ بعض المعاصرين حقّق أنّها ليلة التاسع من ربيع الأوّل وليست ليلة الثاني عشر، وحينئذ فجعل الاحتفال ليلة الثّاني عشر من ربيع الأوّل لا أصل له من النّاحية الزمنية فالاحتفال لا أصل له.

ثانياً: من النّاحية الشرعية فالاحتفال لا أصل له أيضاً لأنّه لو كان من شرع الله لفعله النّبيّ ﷺ أو بلّغه لأمته ولو فعله أو بلّغه لوجب أن يكون محفوظاً لأنّ الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ فلمّا لم يكن شيء من ذلك علم أنّه ليس من دين الله وإذا لم يكن من دين الله فإنّه لا يجوز لنا أن نّتعبد به لله ﷻ ونتقرب به إليه، فإذا كان الله تعالى قد وضع للوصول إليه طريقاً معيناً وهو ما جاء به الرّسول ﷺ فكيف يسوغ لنا ونحن عباد أن نأتي بطريق من عند أنفسنا يوصلنا إلى الله؟ هذا من الجناية في حقّ الله ﷻ أن يشرع في دينه ما ليس فيه، كما أنّه يتضمن تكذيب قول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة ٣].

فنقول هذا الاحتفال إن كان من كمال الدّين فلا بدّ أن يكون موجودا قبل موت الرّسول ﷺ وإن لم يكن من كمال الدّين فإنّه لا يمكن أن يكون من الدّين لأنّ الله تعالى يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ ومن زعم أنّه من كمال الدّين وقد حدث بعد الرّسول ﷺ فإنّ قوله يتضمن تكذيب هذه الآية ولا ريب أنّ

الذين يحتفلون بمولد الرّسول ﷺ إنّما يريدون بذلك تعظيم الرّسول عليه الصلاة والسلام وإظهار محبته وتنشيط الهمم على أن يوجد منهم عاطفة في ذلك الاحتفال للنّبيّ ﷺ عبادة بل لا يتم الإيمان حتى يكون الرسول ﷺ أحبّ إلى الإنسان من نفسه وولده والنّاس أجمعين.

وتعظيم الرّسول من العبادة، كذلك إلهاب العواطف نحو النّبيّ ﷺ من الدّين أيضاً لما فيه من الميل إلى شريعته إذا فالاحتفال بمولد الرّسول ﷺ من أجل التقرّب إلى الله وتعظيم الرسول ﷺ عبادة وإذا كان عبادة فإنّه لا يجوز أبداً أن يحدث في دين الله تعالى ما ليس منه فالاحتفال بالمولد بدعة ومحرّم.

ثم إنّنا نسمع أنّه يوجد في هذا الاحتفال من المنكرات العظيمة ما لا يقرّه شرع ولا حسّ ولا عقل فهم يتغنون بالقصائد التي فيها الغلوّ في الرّسول ﷺ حتّى جعلوه أكبر من الله - والعياذ بالله- ومن ذلك أيضاً أننا نسمع من سفاهة بعض المحتفلين أنّه إذا تلا التالي قصة المولد ثم وصل إلى قوله: (ولد المصطفى) قاموا جميعاً قيام رجل واحد يقولون إنّ روح الرّسول ﷺ حضرت قوموا إجلالا لها وهذا سفه ثم إنّه ليس من الأدب أن يقوموا لأنّ الرّسول ﷺ كان يكره القيام له فالصحابة وهم أشدّ النّاس حبّا وأشدّ منّا تعظيماً للرّسول ﷺ لا يقومون له لما يرون من كراهيته لذلك وهو حيّ فكيف بهذه الخيالات؟!

وهذه البدعة -أعني بدعة المولد- حصلت فيها ما يصحبها من هذه الأمور المنكرة التي تخل بأصل الدين فضلاً عمّا يحصل فيها من الاختلاط بين الرجال والنّساء وغير ذلك من المنكرات[1].

(١) فتاوى وأحكام موقع طريق الإسلام فتاوى العلامة أبن عثيمين.

ثانياً: حكم الذكر الجماعي:

الجواب: إذا كان المقصود من الذكر هنا مجالس العلم وتعليم النّاس في المسجد القرآن والسّنّة فهذا الذكر مشروع وهو وسيلة شرعية لتحقيق العبودية لله رب العالمين وقد قال النّبيّ ﷺ: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا غشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وحفّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه**»[(١)].

وإذا كان المقصود الاجتماع على ذكر جماعي بمعنى الاجتماع على القراءة والذكر بصوت واحد فقد عدّه العلماء من الابتداع في هيئات العبادات وكيفياتها.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومنها -أي البدعة الإضافية- التزام الكيفيات والهيئات المعينة كالذكر لهيئة الاجتماع على صوت واحد ومنها التزام العبادات المعينة في أوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة).

فالذكر الجماعي بصوت واحد لم ينقل عن أحد من السلف رحمهم الله تعالى فتبين بذلك أنه مخالف للسّنّة وأنّه الإحداث في دين الله تعالى.

وفي حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في الصحيح: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد**» أي مردود غير مقبول.

وكذلك المقلّد لقوله ﷺ في الرواية الثانية: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ) [(٢)]. والله أعلى وأعلم.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧) ومسلم برقم (١٧١٨).

ثالثاً: حكم التوسل:

الجواب:

أجاب العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ على هذه المسألة الهامّة فقال:

التوسّل: مصدر توسّل يتوسّل أي أتخذ وسيلة توصّله إلى مقصوده فأصله طلب الوصول إلى الغاية المقصودة.

وينقسم التوسّل إلى قسمين:

القسم الأول: قسم صحيح وهو التوسّل بالوسيلة الصحيحة الموصّلة إلى المطلوب وهو على أنواع نذكر منها:

النّوع الأول: التوسّل بأسماء الله تعالى وذلك على وجهين:

الوجه الأول: أن يكون ذلك على سبيل العموم ومثاله ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في دعاء الهمّ والغمّ قال: «**اللهم إنّي عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك أسألك اللهمّ بكل اسم هو لك سمّيت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علّمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي**» الحديث.

فهذا توسّل بأسماء الله على سبيل العموم (أسألك بكلّ اسم هو لك سمّيت به نفسك).

الوجه الثاني: أن يكون ذلك على سبيل الخضوع بأن يتوسّل الإنسان باسم خاص لحاجة خاصة تناسب هذا الاسم مثل:

ما جاء في حديث أبي بكر رضي الله عنه حيث طلب من النّبيّ ﷺ دعاءً يدعو به في صلاته فقال: قل: اللهمّ إنّي ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنّك أنت الغفور الرحيم).

فطلب المغفرة والرحمة وتوسّل إلى الله ﷻ باسمين من أسمائه مناسبين للمطلوب وهما: (الغفور) و(الرحيم).

وهذا النّوع من التوسّل داخل في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] فإنّ الدّعاء هنا يسمى دعاء المسألة ودعاء العبادة.

النوع الثاني: أن يكون خاصّاً كأن تتوسل إلى الله تعالى بصفة معينة خاصة لمطلوب خاص مثل ما جاء في الحديث: «**اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي وتوفني ما علمت الوفاة خيراً لي**».

فهذا توسّل لله تعالى بصفة (العلم) و(القدرة) وهما مناسبان للمطلوب.

ومن ذلك أن يتوسّل بصفة فعلية مثل: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم.

النّوع الثالث: أن يتوسّل الإنسان إلى الله ﷻ بالإيمان به وبرسوله ﷺ فنقول: «**اللهمّ إنّي أمنت بك وبرسولك فاغفر لي أو وفقني**» أو بقولك: «**اللهمّ بإيماني بك وبرسولك أسألك كذا وكذا**».

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...﴾ [آل عمران: ١٩١: ١٩٠] إلى قوله تعالى: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٢: ١٩٣].

فتوسّلوا إلى الله تعالى بالإيمان به أن يغفر لهم الذنوب ويكفِّر عنهم السيئات ويتوفّاهم مع الأبرار.

النّوع الرابع: أن يتوسّل إلى الله ﷻ بالعمل الصالح ومنه قصة النفر الثلاثة الذين أووا إلى غار ليبيتوا فيه فانطلق عليهم الغار بصخرة لا يستطيعون زحزحتها فتوسّل كل منهم بعمل صالح فعله فأحدهم توسل إلى الله تعالى ببره لوالديه والثاني بعفته التامة والثالث بوفائه لأجيره قال كل منهم: (اللهم إن كنت فعلت ذلك من أجلك فأفرج عنا ما نحن فيه) فانفرجت الصخرة فهذا توسّل إلى الله بالعمل الصالح.

النّوع الخامس: أن يتوسّل إلى الله تعالى بذكر حاله يعني أنّ الدّاعي يتوسّل إلى الله تعالى بذكر حاله وما هو عليه من الحاجة ومنه قول موسى ﷺ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]

ومن ذلك قول زكريا: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤] فهذه أنواع من التوسّل كلها جائزة لأنها أسباب صالحة لحصول المقصود بالتوسّل بها.

النّوع السّادس: التوسّل إلى الله ﷻ بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابته، فإنّ الصّحابة ﭫ كانوا يسألون النّبيّ ﷺ أن يدعوا الله ﷻ لهم بدعاء عام ودعاء خاص ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك ﭬ أنّ رجلاً دخل يوم الجمعة والنّبي ﷺ يخطب فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا فرفع النّبيّ ﷺ يديه وقال: (اللهمّ أغثنا) ثلاث مرات فما نزل من منبره إلا والمطر يتحادر من لحيته، وبقي المطر أسبوعاً كاملاً، وفي الجمعة

الأخرى جاء ذلك الرجل أو غيره والنّبيّ ﷺ يخطب فقال: (يا رسول الله غرق المال وتهدم البناء فادع الله أن يمسكها عنّا فرفع النّبيّ ﷺ يديه وقال: «**اللهمّ حوالينا لا علينا**» فما يشير إلى ناحية من السماء إلا انفرجت حتى خرج النّاس يمشون في الشّمس.

وهناك عدة وقائع سأل الصّحابة نبيّهم ﷺ أن يدعو لهم على وجه الخصوص ومن ذلك أنّ النّبيّ ﷺ ذكر أن في أمّته سبعين ألفاً يدخلون الجنّة بغير حساب ولا عذاب وهم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام (عكّاشة بن محصن) وقال: يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم فقال: «**أنت منهم**» فهذا أيضاً من التوسّل الجائز.

القسم الثاني: التوسل غير الصحيح وهو:

أن يتوسّل الإنسان إلى الله تعالى بما ليست بوسيلة، أي بما لم يثبت في الشرع أنّه وسيلة لأن التوسّل بمثل ذلك من اللّغو، والباطل المخالف للعقول والمنقول، ومن ذلك أن يتوسّل الإنسان إلى الله تعالى بدعاء ميت يطلب من هذا الميت أن يدعوا الله له لأن الميت إذا مات انقطع عمله ولا يمكن لأحد أن يدعو لأحد بعد موته ولهذا لم يتوسل الصّحابة رضي الله عنهم إلى الله بطلب الدعاء من رسوله ﷺ بعد موته فإنّ النّاس لما أصابهم الجدب في عهد عمر رضي الله عنه قال: (اللهمّ إنّا كنّا نتوسّل إليك بنبيّنا فتسقينا وإنّا نتوسّل إليك بعمّ نبيّنا فاسقنا) فقام العبّاس رضي الله عنه فدعا الله تعالى.

ولو كان طلب الدعاء من الميت سائغاً، ووسيلة صحيحة لكان عمر ومن معه من الصحابة يطلبون ذلك من رسول الله ﷺ لأنّ إجابة دعائه ﷺ أقرب من إجابة دعاء العبّاس رضي الله عنه.

فالتوسّل إلى الله بطلب دعاء الميت باطل ولا يجوز ومن التوسّل الغير صحيح أن يتوسّل الإنسان بجاه النّبيّ ﷺ وإذا أردت أن تتوسّل إلى الله على وجه صحيح فقل: (اللهمّ بإيماني بك وبرسولك أو بمحبتي لرسولك وما أشبه ذلك، فإنّ هذا من الوسائل الصحيحة النافعة[1].

رابعاً: حكم التبرّك:

الجواب:

التبرّك مصدر تبرّك يتبرّك تبرّكاً والتبرّك بالشيء طلب حصول الخير بمقاربته وملامسته.

والتبرّك ينقسم إلى قسمين:

الأول: التبرّك المشروع:

وهو لتبرّك بما ورد به الشرع لأن التبرّك أمر توفيقي ومما ورد التبرّك به:

١ - من الذوات: النبي ﷺ كان الصحابة يتبرّكون بآثاره وبريقه وبعرقه.. إلخ.

- وزمزم لقوله ﷺ: «**ماء زمزم لما شرب له**»، ولقوله: «**ماء زمزم طعام طعمة وشفاء سقمة..**».

- والحجر الأسود لتقبيله ﷺ للحجر.

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين المجلد الثاني -باب التوسل بتصرف يسير.

٢- من الأزمنة: رمضان وليلة القدر وعشر ذي الحجة لورود النّصوص ببيان فضلها وفضل العمل فيها.

٣- ومن الأماكن: مكة والمدينة وبيت المقدس.

٤- ومن الأعمال: الصلاة والصيام والزكاة.

الثاني: التبرّك الممنوع وهو الذي لم يرد الشرع بجواز التبرّك به وهو:

١- من الذوات: كالعلماء والأولياء.

٢- الأزمنة: كليلة الإسراء وليلة المولد وليلة النّصف من شعبان وتخصيصها بعبادات وبدعيات.

٣- الأماكن: كالقبور والأضرحة ونحوها.

٤- في الأعمال: كالبدع والمحدثات.

ومن أراد الاستزادة فليراجع رسالة: (التبرّك المشروع والممنوع لعلي بن نفيع العلياني وكتاب: التبرك أنواعه وأحكامه لناصر الجديع) والله الموفّق.

الأحباش فرقة ضالة يجب الحذر والتحذير منهم:

التعريف: طائفة تنسب إلى (عبد الله الحبشي) تتبع منهاج أهل الكلام والصوفية بهدف إفساد عقيدة وتفكيك وحدة المسلمين.

الأفكار والمعتقدات:

١- يزعم الحبشي أنّ جبريل عليه السلام هو الذي أنشأ ألفاظ القرآن وليس الله، فالقرآن عنده ليس بكلام الله تعالى وإنما عبارة عن كلام جبريل.

٢- يحث الأحباش النّاس على التوجه إلى قبور الأموات والاستعانة بهم وطلب قضاء الحوائج منهم كما يدعوا إلى الاستعانة بغير الله ويدعون للتبرّك بالأحجار.

٣- يعتقد الحبشي أنّ الله تعالى خلق الكون لا لحكمة وأرسل الرسل لا لحكمة وأنّ من ربط فعلاً من أفعال الله بالحكمة فهو مشرك.

٤- الأحباش يحرّفون صفات الله بلا حجّة فيحرّفون الاستواء بالاستعلاء كالمعتزلة والجهمية.

٥- يكثر الحبشي من سبّ الصحابة وخاصة معاوية بن أبي سفيان وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ويطعن في خالد بن الوليد ويقول: أنّ الذين خرجوا على عليّ ماتوا ميتة جاهلية ويحذّر من تكفير الذين يسبّون الصّحابة إرضاء للروافض.

٦- كفّر الحبشي وأصحابه الكثير من علماء المسلمين وأئمتهم ودعاتهم كشيخ الإسلام ابن تيمية وجعل من أول الواجبات على المكلف أن يعتقد كفر أبن تيمية ولذلك يحذّر أشدّ التحذير من كتبه، والأحباش يطعنون في الإمام الذهبي

ويكفّرون ابن حزم ويسمّون كتاب (التوحيد) كتاب الشرك، كما يكفرون أبن القيم وأبن كثير ويكفّرون محمد بن عبد الوهاب وتكفيره على ألسنتهم صباح مساء، وكذلك كفّروا الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ وكذلك الشيخ سيد سابق رَحِمَهُ اللَّهُ وكذلك ابن باز وابن عثيمين -رحمهم الله- وأما (ابن عربي) صاحب مذهب وحدة الوجود ونظرية الحلول والاتحاد والذي شهد العلماء بكفره فيعتبره الحبشي شيخ الإسلام كما يدعو الحبشي إلى طريقة النقشبندية والرّفاعية الصّوفيّة.

- لم يكتفِ الأحباش بالانحراف في العقيدة ولكن في السلوك أيضاً لهم فتاوى شاذة من ذلك:

١- أنّ النّظر والاختلاط والمصافحة للمرأة الأجنبية لا شيء فيه بل للمرأة أن تخرج متعطرة متبرجة.

ولما سئل أحد شيوخهم: إنّ كثيراً من نساء الأحباش يمشين بين الرجال الأجانب بالبنطلون (الجينز) قال: إنّنا نجمع بين الموضة والسترة.

٢- إسقاط الزكاة في العملة الورقية كالريال والدولار والجنيه وإيجابها في الذهب والفضة فقط حيث يقول شيخهم: (لا زكاة في الأعيان غير الذهب والفضة).

٣- يجوز أخذ الربا من الكافر ويجوز عندهم سلب أموال الكفار ولو بطريقة القمار.

٤- أثاروا في أمريكا وكندا فتنة بدعوى أن المسلمين هناك يتجهون إلى غير جهة الكعبة حتى صارت لهم مساجد خاصة ينحرفون عن اتجاه القبلة تسعين

درجة وأصل هذا الفساد اعتقادهم أنّ الأرض نصف كروية على شكل نصف برتقالة وفي لبنان يصلّون في جماعات خاصة بهم بعد انتهاء جماعة المسجد كما اشتهر عنهم إثارة الشغب في المساجد[1].

فرقة الأحمدية الضالة:

الأحمدية فرقة ضالّة تنسب إلى مرزا غلام أحمد القادياني البنجابي الهندي الهالك سنة ١٩٠٨م تقوم دعوتها على عقائد باطلة تخالف عقيدة المسلمين منها:

١- اعتقادهم في أنّ النّبوّة لم تختم بمحمّد ﷺ بل هي باقية بحسب حاجة الأمة.

٢- يعتقدون أنّ جبريل عليه السلام كان يوحي إلى غلام أحمد.

٣- يعتقدون أنّ نبوّة غلام أحمد أرقى وأفضل من الأنبياء جميعاً.

٤- لهم كتاب منزّل في زعمهم اسمه (الكتاب المبين) هو غير القرآن الكريم فلا قران -عندهم- إلّا ما قدّمه أحمد القادياني الذي يعتبرونه بأنّه المسيح الموعود ولذلك أجمع علماء الأمّة من أهل السنّة على كفرهم.

٥- إلغاؤهم للحجّ إلى مكّة وتحويل المناسك إلى قاديان حيث يعتقدون أنّ قاديان أفضل من مكّة والمدينة وأرضها حرم وهي قبلتهم وإليها حجّهم.

٦- ينسبون الولد إلى الله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً-.

٧- ومن عقيدتهم تكفيرهم لكل المسلمين إلا من دخل في القاديانية.

---

(١) وللمزيد اقرأ كتاب (الأحباش) وهو رسالة علمية من مجلدين للدكتور سعد الشهراني من طباعة دار عالم القوائد.

٨- نسخهم لفريضة الجهاد.

٩- استحلالهم للمسكِرات والأفيون والمخدرات وهذا ولهم نشاط مكثف ولهم قناة قضائية باسم (التليفزيون الإسلامي)[١].

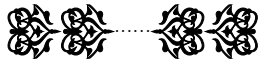

(١) للتوسع راجع: (فتنة القاديانية) لعتيق الرحم عتيق (قادياني سابق) و(القاديانية) الإحسان إلهي ظهير.

فإنّه مع كثرة الفرق وانتشار البدعة في واقعنا المعاصر كان من الواجب على المسلم تحري الكتاب والسنة النبوية ولزوم أهلهما والبعد عن التحزب والعصبية واتباع الهوى فمتابعة النبي ﷺ وأهل سنته من مقتضيات الإيمان ودلائله وإليك الأدلة على وجوب اتباع السنّة من القرآن الكريم وأحاديث النّبيّ الأمين ﷺ:

أما القرآن الكريم ففيه آيات كثيرة نذكر منها:

١- قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

٢- وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١].

٣- وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

٤- وقال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٧٩-٨٠].

٥- وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

٦- وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

٧- وقال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النّور: ٦٣].

٨- وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٣-١٤].

٩- وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النّور: ٥١-٥٢].

١٠- وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧] إلى غير ذلك من الآيات المباركات.

الأحاديث الداعية إلى إتباع النبي ﷺ:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قالوا: ومن يأبى؟! قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»[(١)].

٢- وعن جابر رضي الله عنه قال: جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم، فقالوا إن لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا قال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة. فقالوا: أولوها له يفقهها. قال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان.

٣- فقالوا: الدار الجنة، والداعي محمد، فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله، ومن عصى محمدا فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس[(٢)]، مأدُبة: بالضم: العشاء أو الطعام ويروى مأدبة بالفتح من الأدب يعني جعل فيها ما يتعلم فيه الأدب والخلق لكن سياق الحديث يدل على أنها الطعام، وقوله: (فرَق) بالتخفيف يعني: محمد بدعوته وبدينه هو فرقان بين الحق والباطل، والرواية الثانية (فرَّق) بالتشديد أي: أن محمداً يفرق بين الناس إذ إنه يفرق بين المؤمن والكافر والبر والفاجر فليس من عصى الله كمن أطاعه.

---

(١) البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام.

(٢) أخرجه البخاري.

٤- عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا، فَقَالَ: يَا قَوْمِ، إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا، فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهَلِهِمْ، فَنَجَوْا وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ، فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي، فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ**»[(١)].

٥- وعن أبي رافع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وإلا فلا**»[(٢)].

٦- عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلاَ يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ، يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلا لا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الأَهْلِيِّ وَلا كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبُعِ**»[(٣)].

٧- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما (ما تمسكتم بهما) كتاب الله وسنّتي لن يتفرقا حتى يردا على الحوض**»[(٤)].

---

(١) البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه احمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة والطحاوي وغيرهم بسند صحيح.

(٣) رواه أبو داود والترمذي والحاكم وصححه واحمد بسند صحيح.

(٤) أخرجه مالك مرسلا، والحاكم مسندا وصححه.

ما تدل عليه النصوص السابقة:

١- أنه لا فرق بين قضاء الله وقضاء رسوله، وأن كلاً منهما، ليس للمؤمن الخِيرة في أن يخالفهما وأن عصيان الرسول ﷺ كعصيان الله تعالى وأنه ضلال مبين.

٢- وأنه لا يجوز التقدم بين يدي الرسول كما لا يجوز التقدم بين يدي الله تعالى وهو كناية عن عدم جواز مخالفة سنته قال العلامة ابن القيم في (إعلام الموقعين (١/ ٥٨): «أي لا تقولوا حتى يقول ولا تأمروا حتى يأمر ولا تفتوا حتى يفتي، ولا تقطعوا أمرا حتى يكون هو الذي يحكم فيه ويمضي».

٣- أن التولّي عن طاعة الرسول ﷺ إنما هو من شأن الكافرين.

٤- أن المطيع للرسول ﷺ مطيع لله تعالى.

٥- وجوب الرد والرجوع عند التنازع والاختلاف في شيء من أمور الدين إلى الله تعالى وإلى الرسول قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في إعلام الموقعين (١/ ٥٤): «فأمر تعالى بطاعة الله وطاعة رسوله، وأعاد الفعل (يعني قوله: «وأطيعوا الرسول» إعلاماً بأن طاعته تجب استقلالاً من غير عرض ما أمر به على الكتاب بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقاً سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه فإنه «أوتي الكتاب ومثله معه» ولم يأمر بطاعة أولى الأمر استقلالاً بل حذف الفعل وجعل طاعتهم ضمن طاعة الرسول»، ومن المتفق عليه عند العلماء أن الردّ إلى الله إنما هو الردّ إلى كتابه، والردّ إلى الرسول هو الردّ إليه في حياته وإلى سنته بعد وفاته وأن ذلك من شروط الإيمان.

٦- أن الرضي بالتنازع، بترك الرجوع إلى السُنّة للخلاص من هذا التنازع سبب هام في نظر الشرع لإخفاق المسلمين في جميع جهودهم ولذهاب قوتهم وشوكتهم.

٧- التحذير من مخالفة الرسول ﷺ لما لها من العاقبة السيئة في الدنيا والآخرة.

٨- استحقاق المخالفة لأمره ﷺ الفتنة في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة.

٩- أن طاعة النبي ﷺ سبب لدخول الجنة والفوز العظيم وأن معصيته وتجاوز حدوده سبب لدخول النار والعذاب المهين.

١٠- كل ما أمرنا به الرسول يجب علينا اتباعه فيه ونأتي منه ما استطعنا، كما يجب علينا أن ننتهي عن كل ما نهانا عنه.

١١- أن سنته ﷺ هي بيان لما أنزل إليه في القرآن.

١٢- وأن القرآن لا يغني عن السنة، بل هي بمثله في وجوب الطاعة والإتباع وأن المستغني به عنها مخالف للرسول ﷺ غير مطيع له فهو بذلك مخالف لما سبق من الآيات.

١٣- أن ما حرَّم رسول الله مثل ما حرَّم الله، وكذلك كل شيء جاء به رسول الله مما ليس في القرآن فهو مثل ما لو جاء في القرآن لعموم قوله: «ألا إني أوتيت القران ومثله معه».

١٤- أن العصمة من الانحراف والضلالة إنما هو التمسك بالكتاب والسنة وأن ذلك حكم مستمر إلى يوم القيامة فلا يجوز التفريق بين كتاب الله وسنة نبيه ﷺ تسليماً كثيراً.

١٥- هذه النصوص السابقة كما أنها توجب طاعة الرسول واتباع سنته مطلقاً في كل ما جاء به الرسول ﷺ وأن من لم يرضى بالتحاكم إليها والخضوع لها فليس مؤمناً فإنها أيضا تفيد أمرين:

الأول: أنها تشمل كل من بلغته الدعوة إلى يوم القيامة.

الثاني: أنها تشمل كل أمر من أمور الدين لا فرق بين ما كان منه عقيدة علمية، أو حكماً عملياً أو غير ذلك.

وبعد هذا العرض نتعرف على مفهوم السنة لغة وشرعاً:

أولاً: السنة لغة:

هي الطريقة المسلوكة وأصلها من قولهم: سننت بالمسن إذا أمررته عليه، حتى يؤثر فيه سناً أي طريقاً.

وقال الكسائي: معناها الدوام، فقولنا سنة معناه الأمر بالإدامة من قولهم: سننت الماء إذا واليت في صبه.

قال الخطابي: أصلها الطريقة المحمودة، فإذا أطلقت انصرفت إليها، وقد يستعمل في غيرها مقيدة كقوله: من سن سنة سيئة.

وقيل هي الطريقة المعتادة سواء كانت حسنة او سيئة كما في الحديث الصحيح «**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجرمن عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الي يوم القيامة**».

ثانيا: السنة شرعاً: أي في اصطلاح أهل الشرع:

فهي قول النبي ﷺ وفعله وتقريره وتطلق بالمعنى العام على الواجب وغيره في عرف أهل اللغة والحديث، وأما في عرف أهل الفقه فإنما يطلقونها على ما ليس بواجب وتطلق على ما يقابل البدعة كقوله: فلان من أهل السنة.

وقيل هي: العبادات النافلة، وفي الأدلة ما صدر عن النبي ﷺ من غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير وهذا هو المقصود بالبحث عنه في هذا العلم.

وللعلماء -رحمهم الله- اصطلاحاتهم الخاصة في تعريف السنة بحسب الأغراض التي عنيت بها كل طائفة منهم:

- فعلماء الحديث: بحثوا في أحوال الرسول ﷺ باعتباره محل القدوة والأسوة في كل شيء من سيرة وخلق وشمائل وأخبار وأقوال وأفعال ولذا فالسنة عندهم: هي ما أُثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلُقية أو سيرة سواء كان قبل البعثة أم بعدها.
- وأمّا علماء الأصول فقد بحثوا في أحوال الرسول ﷺ باعتباره المشرِّع الذي يضع القواعد للمجتهدين من بعده ويؤصل الأصول التي يستدل بها على الأحكام، فعنوا بما يتعلق بذلك وهي أقواله وأفعاله وتقريراته.

فالسنّة عندهم هي: هي ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير بما يصح أن يكون دليلاً شرعياً.

- وأما الفقهاء فإنهم يبحثون عن حكم الشرع على أفعال العباد وجوباً أو حرمة أو استحباباً أو كراهة أو إباحة ولذلك فإن السنة عندهم هي ما يقابل

الفرض والواجب فهي أحد الأحكام التكليفية الخمسة: الواجب والحرام والسنة والمكروه والمباح.

ومما سبق من تعريفات يتبين أن اصطلاح المحدثين هو أوسع الاصطلاحات لتعريف السنة: فهو يشمل أقواله ﷺ وهي كل ما صدر عنه من لفظه كحديث: **(إنما الإعمال بالنيات)**، وحديث: **(الدين النصيحة)**، وحديث: **(بني الإسلام على خمس)**.

ويشمل أفعاله التي نقلها إلينا أصحابه في جميع أحواله كأداء الصلوات ومناسك الحج وغير ذلك.

ويشمل كذلك تقريراته وهي ما اقره ﷺ من أفعال صدرت من بعض أصحابه إما بسكوته مع دلالة الرضا أو بإظهار الاستحسان وتأييد الفعل.

وتشمل السنة في اصطلاح المحدثين صفاته الخَلْقية وهي هيأته التي خلقه الله عليها وأوصافه الجسمية والبدنية وصفاته الخُلُقية وهي ما جبله الله عليه من الأخلاق والشمائل وتشمل كذلك سيرته وغزواته وأخباره قبل البعثة وبعدها.

منزلة السنة من القران:

تتلخص منزلة السنة من القران في أنواع من البيان ووجوه من التفصيل وهي كما يلي:

بيان لمجمل القران:

بينت السنة ما أجمل من عبادات وأحكام فقد فرض الله تعالى الصلاة على المؤمنين من غير أن يبين أوقاتها وأركانها وعدد ركعاتها فبين الرسول الكريم ﷺ

هذا في صلاته وتعليمه للمسلمين كيفية الصلاة وقال: **(وصلوا كما رأيتموني أصلي)**[١].

وفرض الحج من غير أن يبين مناسكه كاملة وقد بين الرسول كيفيته وقال **(خذوا عني مناسككم)** [٢]، وفرض الله تعالى الزكاة من غير أن يبين النصاب الذي تجب فيه الزكاة من كلّ نوع فبيّنت السّنّة ذلك كله.

تخصيص العام في القران:

ومن بيان الرسول ﷺ للقران تخصيص العام **(نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ما تركناه صدقة)**[٣]، وخصت الوارث بغير القاتل بقوله ﷺ: **(لا يرث القاتل)**[٤].

تقييد مطلق القران:

ومن بيانه ﷺ تقييد مطلق القران كما في قوله تعالى ﴿ **وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا** ﴾ [المائدة: ٣٨]، فإن قطع اليد لم يقيد في الآية بموضع خاص فتطلق اليد على الكف وعلى الساعد وعلى الذراع ولكن السنة قيدت القطع بأن يكون من الرسغ، وقد فعل ذلك الرسول ﷺ عندما (أتى بسارق فقطع يده من مفصل الكف) [٥].

---

(١) البخاري.

(٢) مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه الترمذي وأحمد وغيرهما وصححه الألباني.

(٥) رواه الدار قطني.

تؤكد ما في القران:

وتأتي سنة الرسول ﷺ مثبتة ومؤكدة لما جاء في القران الكريم أو مفرعة على أصل تقرر فيه ومن ذلك جميع الأحاديث التي تدل على وجوب الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها مما ثبت بنص القران ومثال السنة التي وردت تفريعاً على أصل في الكتاب منع بيع الثمار قبل بدو صلاحها ففي القران الكريم قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ ﴾ [النساء: ٢٩].

وعندما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وجد المزارعين يتبايعون ثمار الأشجار قبل أن يبدو صلاحا من غير أن يتمكن المشتري من معرفة كميتها وصلاحها فإذا حان جني الثمار كانت المفاجآت غير الطيبة كثيراً وتثير النزاع بين المتعاقدين وذلك عندما يطرأ طارئ من برد شديد أو مرض شجري يقضي على الزهر وينعدم معه الثمر، لذلك حرم رسول الله ﷺ هذا النوع من البيع ما لم يبد صلاح الثمر ويتمكن المشتري من التثبت من تمام تكوينها وقال: (أرأيت إذا منع الله الثمر بم يأخذ أحدكم مال أخيه؟)[1].

تقرير أحكام جديدة لم ترد في القران:

وفي السنة أحكام لم ينص عليها الكتاب وليست بيانا له ولا تطبيقاً مؤكداً لما نص عليه كتحريم الحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع وتحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها والله الموفق.

---

(١) رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري.

وتتحقق متابعة الشريعة بمتابعة أمور ستة:

أولا: السبب:

فإذا تعبد الإنسان لله عبادة مقرونة بسبب ليس شرعياً فهي بدعة كإحياء ليلة السابع والعشرين من رجب اعتقاداً أنها ليلة الإسراء فالتهجد عبادة والسبب غير شرعي فهذا العمل بدعة.

ثانياً: الجنس:

فلا بد أن تكون العبادة موافقة للشرع في جنسها مثال ذلك من يضحي بفرس فلا يصح فالأضاحي لا تكون إلا من بهيمة الأنعام (الإبل والبقر والغنم)

ثالثاً: الكيفية:

فلو أن رجلا توضأ فبدأ بغسل رجله ثم مسح رأسه ثم غسل يديه ثم وجهه فنقول: وضوءه باطل لأنه مخالف للشرع في الكيفية.

رابعاً: القدر:

فلو أراد إنسان أن يزيد صلاة على أنها فريضة نقول هذه بدعة وكذلك لو صلى الظهر مثلا خمساً خالف القدر فهي بدعة مردودة.

خامساً: الزمان:

فلو أن رجلا ضحى في أول أيام ذي الحجة فلا تقبل الأضحية.

سادساً: المكان:

فلو أن رجلا اعتكف في غير مسجد فلا يصح، أو قبّل مكاناً بنية التعبّد غير الحجر الأسود فهذا من البدع والمخالفات.

وبعد هذه الوقفات بين يدي منهج أهل السنة والجماعة أسأل الله تعالى أن ينفع بها كاتبها وقارئها وناشرها وأن تكون سبباً لنيل رضاه، وتحصيل تقواه، ومغفرة الزلّات ورفع الدرجات، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

خادمكم ومحبكم في الله

أبو أحمد سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي

المقدمة ٥
الوقفة الأولى: الإسلام منهج حياة ٧
الوقفة الثانية: بيان أهداف الإسلام ١٥
الوقفة الثالثة: أثر المنهج على أهل السنة ٢١
الوقفة الرابعة: أصول عقيدة أهل السنة والجماعة ٤٠
الوقفة الخامسة: أصول أهل السنة في الأسماء والصفات ٥٤
الوقفة السادسة: التعريف ببعض الفرق الضالة والتحذير منها ٧٠
الوقفة السابعة: الرد على شبهات أهل البدع ٩٠
الوقفة الثامنة: وجوب إتباع السنة ١١٩
الخاتمة ١٣١
فهرس المحتويات ١٣٢